

إصلاح كتاب الحيوان (الجزء الأول)

الأستاذ صبحي البصام

تمهيد

مقالتي هذه هي في (إصلاح الجزء الأول) من كتاب الحيوان لعمرو بن بحر الجاحظ. وهي جزء من كتاب ألفته وسميته (إصلاح كتاب الحيوان). وكتبت له خطبته، وأنا ذاكرها لكي تكون دليلاً على المقالة وعلى الكتاب، وهي هذه:

أ- بسم الله الرحمن الرحيم. أشكر الله تعالى وأحمده على تيسيره ما تعسر من أمري، وإنارته ما أظلم من سبيلي، أما بعد، فيحتوي هذا الكتاب على ٥٨٠ مادة، منها ٢٤٥ مادة هي استدراك على مؤلف كتاب الحيوان عمرو بن بحر الجاحظ، وعلى ٣٢٥ مادة هي استدراك على محقق الكتاب الأستاذ محمد عبد السلام هارون. والباقي مواد مفيدة هي ليست استدراكاً على أي منهما. وكان جلّ اعتمادي في ذلك على ما رزقت من علم، وعلى دفائري وفيها نحو من ثمانية آلاف فائدة في اللغة والأدب وذلك لأن مدينة شفيلد التي اتخذتها وطناً، وضربت بها عطناً، منذ ثماني عشرة سنة خالية من خزانة كتب عربية عامة، وليس معي إلا كتب قليلة. وقد استفدت في أثناء التأليف من صديقي الأديب أحمد العلاونة، وهو من قاطنة الأردن. كنت أكتب إليه أرجوه أن ينقل لي ما أشاء من كتب أعينها له، فأحوجه ذلك إلى السفر مراراً كثيرة من قرينته (الطبية) إلى إربد أو عمان ليدخل خزانة كتب عامة لهذا الغرض.

ولم أقدر على أن أجزيه حتى الآن إلا بالشكر والود، وبدعائي العليّ القدير أن يبارك مساعيه في خدمة الأدب وعلم التراجم. واستفدت من بعض كتب

صديقي الدكتور عبدالله الزعبي إمام مسجد قبا وخطيبه في شفيلد. فأنا أثنى عليه ثناء مستطاباً، وأسأل الله تعالى أن يبارك هداه، ويؤتیه مبتغاه.

ب- وأهم ما انتقدت الجاحظ عليه توالي جملة الاعتراضية بما يجعل بيانه صعب المركب، ضيق المسلك. مثال ذلك ما في (٣٧/٧) وهو قوله: (وقال بشر أخو بشار). وأخر قول بشر بجملة اعتراضية هي: (وكانوا ثلاثة، واحد حنفي، وواحد سدوسي، وبشار عقيلي، وإنما نزل في بني سدوس لسبب أخيه). ويلبي ذلك: (لو خيرك الله أن تكون شيئاً من الحيوان أي شيء كنت تتمنى؟ قال: عقاب. قيل: لم تمنيت ذلك؟ قال: لأنها تبيت حيث لا ينالها سبع ذو أربع وتحيد عنها سباع الطير). ويلبي ذلك تكريره لما سبق أن قاله وهو: (وكان لبشار أخوان، بشر هذا وهو سدوسي، وجعفر وهو حنفي، أما بشار فعقيلي).. وقوله (وقال بشر أخو بشار... لو خيرك الله أن تكون شيئاً من الحيوان أي شيء كنت تتمنى؟) هو خطأ، والصواب أن يقول (وسئل بشر... لو خيرك الله... إلى آخر القول. وأعيدت كتابة النص بما يزيل عواره (وسئل بشر أخو بشار: لو خيرك الله أن تكون حيواناً أي حيوان كنت تختار؟ قال: عقاب. قيل: لم اخترت ذلك؟ قال: لأنها تبيت حيث لا ينالها سبع ذو أربع وتحيد عنها سباع الطير. وكان لبشار أخوان، بشر هذا وهو سدوسي، وجعفر وهو حنفي، أما بشار فعقيلي، وإنما نزل في بني سدوس لسبب أخيه). وقوله (تتمنى) في غير محله، لأن الله تعالى يخيّره فالحق أن يختار لا يتمنى، لأن التمني يكون لما يصعب نيله أو يتعذر، وهل يصعب أو يتعذر على الله تعالى أن يحقق له ما يريد؟

ج- وانتقدت عليه الضعف والفضول في قسم من تعابيره. فمن ذلك قوله في (٢٥٧/١) (وكذلك قول الأسود بن المنذر فإنه قال:...) و(فإنه قال) حقها الحذف لزيادتها، ولأن التأكيد بأن لا حاجة إليه. وقوله مكرراً (أحد) (١٥٩/٣): (وهذه فضيلة لا ينكرها أحد، ومزية لا يجدها أحد). وخير من ذلك أن يقول: (وهذه فضيلة لا ينكرها منكر، ومزية لا يجدها جاحد). وقوله (٢٣/٤) (والعماني ممن يُعدّ ممن جمع الرجز والقصيد)، و(ممن) الأولى فضلة ممجوجة ومخلّة بالبيان. وقوله (٥٠٠/٥) (والجلام بكسر الجيم وتعجيم نقطة من تحت الجيم). ولا وجه لقوله (وتعجيم نقطة من تحت الجيم) وكان يجب اجتنابه. فمعلوم أن قوله (الجيم) معناه بنقطة من تحته، لأنه لا يلتبس في اللفظ بحرف آخر عند عدم الإعجام كما يلتبس الحاء بالخاء والسين بالشين والعين بالغين. وقوله (٣٣/٦) (لأن الفرخ إنما يخلق من البياض والصفرة غذاء الفروج) والفصيح أن يقول (والصفرة غذؤه).

د- وانتقدت عليه خروجه عن المختار من أصول اللغة والنحو، فمن ذلك ما في (٤٦/١) وهو قوله (لما) في جواب (لو). والاختيار في نثر الفصحاء (ما) دون اللام. وكما في (٣٢٩/١) وهو تعديته (عير) بفي والفصيح بالباء، أما تعديته (عير) بنفسه فمن لغة الشعر وهي دون تعديته بالباء فصاحة. وكما في (١٥٣/٤) وهو قوله (بسهولة وسعة المخرج) بالعطف على المضاف، والاختيار (بسهولة المخرج وسعته). ولم أر فصيحاً قديماً استعمل ذلك في نثر، وندر استعماله في الشعر، وكما في (٣٥٩/٦) وهو تذكيره الأرنب والفصيح تأنيثها. وقد قال هو بتأنيثها في ص ٣٥٧ فقيم خرج عما قال؟ وكما في

ص (١٦٩/٦) وهو استعماله (بل إن) مع أن العرب تحاشت تأكيد (بل) بإن. وكما في (٢٦٢/١) وهو قوله (بل إنما) والوجه عدم الجمع بين (بل) و(إنما).

هـ- وسأعني منه أن أراه يقع في الخليل الفراهيدي في كتابه في (١٥٠/١) ثم يقع فيه واصفاً إياه بالجنون، قال في (١٦٦/٧): (إن أبا إسحاق النظام لم يشك في جنونه، وفي اختلاط عقله، وكذا كان الخليل). وهذه عضيته منه ومن شيخه النظام، وهملجة إلى الباطل. فقد كان الخليل معروفاً بكمال العقل وطهارة النفس. وسأعني أيضاً من الجاحظ أن يخيل لنفسه أن ناقداً انتقد عليه كتبه فيشتمه بقوله (١٣/١): (هل يضرّ السحاب نبج الكلاب)، ويستشهد بقول حسان بن ثابت (أم لحاني بظهر غيب لثيم) (١٣/١) ويخاطب من ينتقده في (١٥/١) قائلاً (وكفيت نفسك لزوم العار). ولم يكتف بذلك بل قال في (١٥٦/٥) في قارئ كتاب الحيوان (وإن أنت وجدتي إذا صحّ عقلك وإنصافك وفيتك ما ضمنت لك فوجدت نشاطك بعد ذلك مدخولاً، وحدك مفلولاً، فاعلم أنا لم نؤت إلا من فسولتك ومن فساد طبعك). فهو قد شتم من يقرأ كتاب الحيوان فيكون نشاطه مدخولاً وحده مفلولاً، شاملاً بذلك الملك والسوقة، والعالم والجاهل، والشريف والوضيع. وهو بذلك كله كأنه بقميص الكبرياء متمص، ويشتم الأبرياء متخصص.

و- وقد أخذت على الأستاذ المحقق غفلته عن نحو ١٤٥ تحريفاً ونحو ٤٥ تصديفاً، وخطأه في ضبط كلمات بالشكل، وهو دليل على عدم فهمه للنص أو سهو في علم النحو. وأخذت عليه كثرة أخذه بالغلط الذي في سائر الأصول مع إعراضه عن الصواب الذي في نسخة ل، وكثرة أخذه بالغلط الذي في نسخة ل وهو معرض عن الصواب الذي في سائر الأصول، وجهله لنصوص جاء

بأكثرها من ل، وهي في الأكثر حواش أدخلها الناسخ في متن الكتاب وكأني بها
تصرخ قائلة: أخرجوني. وأخذت عليه جهله لأوزان الشعر، مثال ذلك قول
المتنب العبدى (٢٧٨/١):

فسلّ الهمّ عنك بذات لوث عذافرة كمْطَرَقَة القـيـونِ
وبصاڤقة الوجيف كأن هراً يباريها ويأخذ بالوضين

والباء في (وبصاڤقة) تكسر وزن البيت، والصواب حذفها لأنها تحريف.
ونسخة ط بلا باء، وأشار إليها المحقق ولكنه لم يأخذ بها. والمثل على ذلك
كثيرة. على أني وجدته في موضعين أو ثلاثة ينبه على اختلال الوزن، ويجوز
أن يكون بعضهم نبهه عليه، وفي آخر الكتاب فهرست للأشعار في ٤٦ صفحة
يذكر فيه أوزان شعر الكتاب، فهذا من الطويل، وهذا من الخفيف، وهذا من
المتقارب، وهذا من مجزوء الرمل، وهذا من مجزوء الكامل وهذا من المنسرح
إلى آخره، فتحرّرت في الأمر. وأخذت عليه في لغته بعض العثرات اللغوية
وهي لا تشاكل تحقيق كتاب قديم ككتاب الحيوان فأصلحتها مع الاستطراد إلى
التنبه على عثرات مثلها في لغة قسم من الأدباء العصريين. على أني أشهد أنه
كان مع ذلك مجيداً في تحقيقه، فرجع إلى مراجع كثيرة، وأصلح باجتهاده كثيراً
من النصوص المضطربة في الأصول معتمداً على صفاء ذهنه وسعة معرفته
لأسلوب الجاحظ. وألزم نفسه بشرح أغلب الشعر والأمثال وغيرها من أقوال
فكان موفقاً في أغلبها، وله في آخر الكتاب فهرس لم أر مثيلاً لها في جودتها.
وإنما وقع فيما وقع فيه من أغلاط لأن كتاب الحيوان جبل وعر مزدحم بالحصى
والعكر والحقر، فمن صعده لم يخل من عثرات وكدمات.

ز- وقد عززت نقودي بما أرجو أن يكون الدليل الناهض، والبرهان الداحض، معتمداً في كثير منها على آيات من القرآن الكريم وعلى ما لدي من شواهد في اللغة والنحو، وربما اعتمدت على فطنة القارئ حين أتناول النص فأبني منه ما انهدم، أو أسد ما انتلم، مما لا يحتاج إلى دليل ولا برهان. ولولا ذلك كله لجاز أن يُقال في: هو يحدو وما له بعير، ويتجشأ وما به شبع، وقد كان الخطيب البغدادي يقول: (من صنّف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس). قلت: فإن قابل العلماء المنصفون عقلي المجعول على طبق بالقبول، فذلك لعيني قرّة، ولقلبي مسرة، ولصدري شفاء. وإن وجد واجدٌ منهم لي عثرات فما أبرئ نفسي. وقد يغلبُ العلم حباتٌ من جهل، وقد يصحبُ الفكر سهوة باعثها الهم، وقد يركبُ الاحتياط هفوة مصدرها الكلال. هذا إلى قلّة مراجعي، وهي قلّة ضيّقت عطني، وجرّعتني نُغْبَ التّهام. وبحسبي أنني زرعتُ أجودَ نرعي، وقنمتُ أحمد وسعي، وفوق كل ذي علم عليم، ويحسن ممن ينتقد عليّ كتابي أن ينشر نقده، فلننقد المقرّون بالعدل والعلم فوائده وعوائده.

وأسأل الله تعالى، الكاشفَ من كُرْبتي، والمؤنسي في غُرْبتي، أن يعزّز خدمتي للغة قرّانه، وأن يهديني إلى التي هي أبرّ وأتقى، إنه المسؤول الأكرم، والمأمول الأعظم، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين، وعلى آل محمد الطاهرين الطيبين.

إصلاح كتاب الحيوان

الجزء الأول

١- (٣/١) كتب الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيقه كتاب الحيوان ما سماه (تقديم مكتبة الجاحظ)، والأولى أن يقول (تقديم خزانة كتب الجاحظ). وقال فيه ص ٣ (أحد زعماء المكتبة العربية) والأولى أن يقول (أحد زعماء خزانة الكتب العربية). وقال فيه ص ٧ (يفن الكتب والمكتبات) والأولى أن يقول (يفن الكتب وخزائنها). وقد استعمل القدماء (خزانة الكتب) دون مكتبة. جاء في الوزير أبي القاسم الحسن بن علي المغربي ت ٤٢٨ هـ أنه وقف (خزانة الكتب المعروفة إلى الآن بخزانة المغربي)(العلائق الخطيرة في نكر أمراء الشام والجزيرة ج ٣ ق ١/٩٠٠). وجاء في الوزير قوام الدولة ت ٤٣٣ هـ أنه وقف (خزانة كتب في مدينة فيروزآباد تشتمل على سبعة آلاف مجلد)(البداية والنهاية ١٢/٥٠). وجاء في الشاعر محمد بن نصر القيسراني ت ٥٤٨ هـ أنه سكن حلب (وولي خزانة الكتب)(سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٢٤ و ٢٢٥). إن مكتبة مما قلّد فيه بعض اللغات الأوروبية في بعض الأعصر الحديثة. واستعمال (خزانة الكتب) هو اللائق بكتاب الحيوان.

٢- نكر المحقق في (تقديم مكتبة الجاحظ) ص ١٠ قول المسعودي في مروج الذهب (٤/٤٧): (ما لم يقصد منها إلى نصب ولا إلى دفع حق)، واستترك عليه استعماله (ولا) قائلاً (صوابها: أو) ولم يزد. وقول المسعودي من الفصيح العالي، والواو في (ولا) للعطف و(لا) لتأكيد النفي. وذلك كقوله تعالى:

(وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) (يونس/٦١).
وكقول الأعشى:

ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسرّ الجار تختلُّ
وفي الحيوان (٥، ١٠٨) جاعني شرط الراعي على ربّ المشية: (ليس لك
أن تذكر أُمي بخير ولا شر) ومن تمثيل النحاة للفظة (ولا) هذه قولهم: ما جاءني
زيد ولا عمرو.

٣- قال المحقق في (تقديم مكتبة الجاحظ) ص ٢٥ في الجاحظ (وهو في
سن عالية مفلوج) والوجه أن يقول (... مفلوج ومُنقرس) لقول الجاحظ كما في
الصفحة نفسها (أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قُرِضَ بالمقاريض ما علمت به،
ومن جانبي الأيمن مُنقرس فلو مرّ به الذباب لأمت).

وقول الجاحظ في جانبه الأيسر: (فلو قُرِضَ بالمقاريض ما علمت به)
الوجه فيه أن يقول (ما شعرت به) في مكان (ما علمت به)، لأنه لو قُرِضَ
بالمقاريض لعلم بالقرض لرؤيته له ولكنه لا يشعر به لمكان الفالج.

٤- قال المحقق في (تقديم مكتبة الجاحظ) ص ٣١ (وكنتم أجدني أمضي
في الكتاب وأتابع قراءته رغم ما كان يحفل به من خطأ). واستعماله (رغم)
وبعدها غير عاقل غير فصيح، والفصيح (على ما كان يحفل به من خطأ). قال
تعالى: (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) (الرعد، ٦) ولم يقل: رغم
ظلمهم. وقال الحارث بن حلزة:

فبقينا على الشنأة تتميم نا حصون وعزة قعساء

فقال: على الشنائة، ولم يقل: رغم الشنائة، ويجوز استعمال (مع) بدلاً من (على). ولم يستعمل القدماء (رغم) لغير العاقل لا في نثر ولا في شعر، على أنهم ربما قالوا في الشعر (على الرغم) و(بالرغم) وكلاهما قليل وغير مختار. وممن أخذ بغير الفصيح الدكتور طه حسين، قال في كتابه الأيام ٣٩: (كان خليقاً رغم حفظه للقرآن أن يذهب إلى الكتاب) والفصيح: على حفظه للقرآن.

٥- (١٤/١) للمسعودي:

ولا تأنفا أن ترجعا فتسلما فما حُشي الأفواه شراً من الكبر

وقال المحقق في (تصحیحات واستدراكات عامة ٦٧٥/٧): (في الأمالي: فما حُشي الأقوام. وفي جمع الجواهر ٣ واللسان: فما حشي الإنسان). وكان يحسن من المحقق أن يصلح رواية (الأفواه) لأن الكبر لا يكون في الفم، وأراها محرقة عن (الأقوام) لقربها في الكتابة من (الأفواه)، وذلك كما في الأمالي. أما رواية جمع الجواهر واللسان وهي (الإنسان) فأظنها موضوعة وإن كانت أجود من (الأقوام).

ج٦- (١٦/١) قال الجاحظ: (فأماً ما قالوا في المثل المضروب... وأما قول الشعراء... فاستعمل (أماً) مرتين من دون أن يخصها بجواب.

ج٧- (١٦/١) قال الجاحظ: كقول النابغة حيث يقول في شعره:

وكلفنتي ذنب امرئ وتركته كذي العرّ يكوى غيره وهو راتع

وقوله (حيث يقول في شعره) زائد أغنى عنه (كقول النابغة).

٨- (١٨/١) لعوف بن الخرع:

تمننت طيئ جهلاً وجبناً وقد خاليتهم فأبوا خيالاتي
هجوني أن هجوت جبال سلمى كضرب الثور للبقر الظمَاءِ

ولا يستقيم معنى البيت الأول بـ(تمننت). وما أراه إلا تحريف (تجننت)
وبه يستقيم المعنى. فمن تجنيهم أنهم أبو إلا مخاصمته من طريق الهجاء مع أنه
تجنب أن يخاصمهم.

٩- (٢٤/١) (وجاء المسلمون يروي خلف عن سلف وتابع عن سابق،
وآخر عن أول) وضبط خاء (آخر) بالفتح والصواب الكسر، لأن الأول ضده
الأخير ولا سبيل إلى أن يلي (آخر) نظيره، ومن ذلك ربيع الأول وربيع الآخر
وجمادى الأولى وجمادى الآخرة.

١٠- (٢٤/١) قالت التغلبية للجحاف في وقعة البشر: (فوالله إن قتلت إلا
نساء أعاليهن ندي وأسافلهن نومي). وضبط المحقق آخر (نومي) بتتوين الفتح
ظاناً أن أسافلهن كالصور المنقشة التي من الرخام أو غيره وأن المفرد نومية.
والصواب (نومي) بضم فكسر مع تشديد الياء وهو جمع دم. أرادت التغلبية بنومي
ما يعرض للنساء من دم الحيض، وعدم فهم المحقق للنص أضاع على قسم من
القراء السجعة بين ندي ونومي التي قصدت إليها التغلبية.

١١- (٣٩/١) قال الجاحظ (وبعد، فمتى رأيت بستاناً يُحمل في رُدن؟).
فاستعمل (وبعد) والأصح (أما بعد). وكرّر (وبعد) في مواضع كثيرة من كتابه.
وهو أقدم من وجدته ينحرف عن (أما بعد) إلى (وبعد). وممن استعمل (أما بعد)

الرسول صلى الله عليه وسلم، قال في رسالة له (من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده...) (سير أعلام النبلاء ٢/٢٧٨).

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أما بعد، فقد جاءني كتابكما...) (إعجاز القرآن للباقلاني ١/١٨٧ من حاشية على الإتيان في علوم القرآن). وكتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهده إلى الأشتر النخعي، وقد استعمل (أما بعد) من بعد مضي صفحات من العهد: (وأما بعد، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك...) (نهج البلاغة ٣/١٠٣ ش. محمد عبده). وأغلب المولدين من بعد الجاحظ آثروا العِدول إلى (وبعد)، منهم الثعالبي، قال في خطبة كتابه يتيمة الدهر ٤ (وبعد، فلمولانا الأجل شمس المعالي أدام الله علوه، وكبت عدوه عبيد...). ومنهم الفيروزآبادي، قال في خطبة معجمه القاموس (وبعد، فإن للعلم رياضاً...) (ترتيب القاموس ١/١٠).

١٢- (٤٦/١) قال الجاحظ (ولو أدركوا ذلك لما أدركوه إلا بعد أن تغلظ المئونة) وقوله (لما) في جواب (لو) الاختيار فيه في النثر (ما) بحذف اللام. قال عز وجل (ولو شاء ربك ما فعلوه) (الأنعام/ ١١٢) وقال تبارك اسمه (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (لقمان/ ٢٧). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خطبة له (قلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً) (نهج البلاغة ١/٦٨) فقال (ما كان) ولم يقل (لما كان) وفي رسالة بعث بها إلى بعض الولاة (ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة) (نهج البلاغة ٣/٦٧). وجاء في قول له (... ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن

يحبني ما أحبني) (نهج البلاغة ١٣/٤). واستعمل الجاحظ (لَمَّا) في جواب (لو) كثيراً في كتابه، منها في الجزء الأول ١٩٠ (لو تَمَّ للكلب معنى السبع لما أَلَفَ الإنسان)، وأيضاً ٢١٠ (ولو وقف عليه رجل رقيق اللسان صافي الذهن... لَمَّا برح تحسره المعاني وتغمره الحكم).

١٣- (٥٣/١) قال ابن الجهم: (وإن كان المصحف عظيم الحجم كثير الورق كثير العدد فقد تم عيشي وكمل سروري). و(كثير) في (كثير الورق) تصحيف (كبير)، والتصحيف بين هاتين الكلمتين في الكتب القديمة معروف. ولا يصح (كثير الورق) وهنا لأنه تلاها (كثير العدد) وهو عدد الورق، فأبي فائدة في التكرير؟

١٤- (٦٣/١) (وخط آخر هو خط الحازي والعراف والزاجر وكان فيهم حليس الخطاط الأسدي ولذلك قال شاعرهم في هجائهم:

فأنتم عصاريط الخميس اذا غزوا غناؤكمُ تلك الأخطيط في الترب)

ولي ههنا تعليقان: أحدهما: ترك المحقق (حليس) دون ضبط بالشكل، وقال فيه: (كذا في س ورسائل الجاحظ طبع الساسي ص ١٣٠ وورد في ل برسم حليس. وفي ط برسم جلس). قلت: هو حَلِيس بضم ففتح فسكون تصغير حَلِس بكسر فسكون وهو كساء يوضع على ظهر البعير تحت البرذعة. وحَلِيس من أسمائهم ومنهم حَلِيس الحمصي ذكره الفيروزآبادي في القاموس (مادة ح ل س)، وجاء في بعض شواهد النحو:

أُمُّ الحَلِيسِ لعجوز شهريّة
ترضى من اللحم بعظم الرقيّة

والتعليق الآخر: فتح المحقق خاء (الخميس) وكسر ميمه وكأنه أراد به الجيش المكوّن من خمس فرق المقدّمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة. وأرى أن (الخميس) تحريف (الخَلِيس)، أي هم عصاريط خَلِيس الخطاط في الترب. ومما يؤيد ذلك قول الجاحظ بعد ذكره لخَلِيس الخطاط: (ولذلك قال شاعرهم في هجائهم) أي في هجائهم وهجاء خَلِيس. وأفاد المحقق أن البيت لأبي نواس وأنه في ديوانه ١٥٩. وقد فتش عنه صديقي الأديب المؤرخ أحمد العلونة في طبعتهين لديوان أبي نواس فلم يجده، وكتب إليّ بذلك من الأردن. وهو يجب إصلاحه حيث وُجد.

١٥- (٦٥/١) قال المقنّع الكندي في قلم من قصيدة له:

يَسِمُ الحروف إذا يشاء بناءها لبيانه بالنقط من أرسامه

و(أرسامه) لا معنى لها في البيت، وأراها تحريف (ايسامه) وهي مصدر (يسم) الذي تقدمها. والشاعر في قصيدته هذه مولع برد جزء من الصدر على العجز كقوله (سُخامه) ثم (بسُخامه)، وكقوله (تلاءم) ثم (تلامه)، وكقوله (مستعجم) ثم (استعجامه).

١٦- (١٦٦/١) وقال المقنّع في قصيدته المشار إليها آنفاً يصف حاله:

قد كان أبيض فاعترته أمةٌ فالعين تنكره من ادهيمامه

ولولع الشاعر في قصيدته برد جزء من الصدر على العجز أقول: أرى أن (ادهيمامه) تحريف (ادميمامه) وهي موافقة لأدمة التي قبلها. وقد تكون (أدمة) تحريف (دُهمة) لتوافق (ادهيمامه) التي بعدها.

١٧- (١٧/١) (ووعى المجنون الوعيد والتهدد). وقال المحقق: في ل (وودع المخنوق)، وفي ط (وردع المجنون). قلت: ما في ط هو الصواب وكان حقاً على المحقق أن يأخذ به. ومعلوم عند قسم من العوام في العراق أن الوعيد والتهدد مما يردع المجنون. وسألت طبيباً عن ذلك فقال: أظن ذلك. أما استعمال المحقق (ووعى) من عنده فغريب.

١٨- (٧٢/١) (وعلى أن الشعر يفيد فضيلة البيان على الشاعر الراغب والمادح وفضيلة المأثرة على السيد المرغوب إليه). وأرى أن (يفيد) تحريف (يضفي) بدلالة (على) في (على الشاعر). أي الشعر يضيف على الشاعر المادح فضيلة البيان وعلى السيد الممدوح فضيلة المأثرة، و(يفيد) قريبة المعنى من (يضفي) ولكن (على) في (على الشاعر) و(على السيد) تُبطل الأخذ بها.

١٩- (٧٢/١) (وذهبت العجم على أن تقيد مآثرها بالبنيان). وإن كان الجاحظ استعمل (ذهبت) وهنا كان ذلك منه نحو قولهم مضى على كذا وكذا وجرى على كذا وكذا وإن لم يستعمله كان تحريف (دأبت) أقول ذلك لأنني لم أر (ذهب على).

٢٠- (٧٢/١) قال الجاحظ (وبنى أردشير بيضاء اصطخر وبيضاء المدائن والحضر). والمعروف (أبيض المدائن).

ففي كتاب الموقفيات ٥٢٨: (فأوقرهم حديداً فأبعث بهم إلى أبيض المدائن). وقال البحتري:

حضرت رحلي الهموم فوجّهـ
تُ إلى أبيض المدائن عنسي

وحُرّف (أبيض المدائن) إلى (أرض المدائن) في الأغاني (١٢٤/١٩ ط، الهيئة المصرية العامة) ولم ينبه على ذلك محققه عبد الكريم العزباوي ولا مراجعه محمد أبو الفضل إبراهيم. وبعد عصور تدرج الاسم إلى (القصر الأبيض) ففي الروض المعطار ٩ (ويقال له القصر الأبيض... وهو من المدينة العتيقة من المدائن) وأيضاً (الأبيض) ففي معجم البلدان ٨٥/١ (والأبيض أيضاً قصر الأكاسرة بالمدائن).

٢١- (٧٩/١) (فما ظنكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالإفساد وتتعاوره الخطاط بشر من ذلك أو مثله). و(تتعاقيه) بالتاء تصحيف (يتعاقبه) بالياء لأن الفاعل جمع مذكر سالم وهو (المترجمون)، ولو كان ملحقاً بجمع المذكر السالم لجاز استعمال التاء.

٢٢- (٨٠/١) قال الجاحظ (أليس معلوماً أنّ شيئاً هذه بقيته وفضلته وسؤره وصبابته ... حريّ بالتعظيم؟). وهذه ألفاظ مترادفة المعنى وليس في جمعها في هذا النص وجه بياني، وهي من طريق أن يُقال: (قبرناه، دفناه، واريناه التراب) وفعل الجاحظ نحواً من ذلك في رسالة صناعة القواد. قال كما في رسائل الجاحظ ٣٤٥ (والحسود مسلوب المعقول بإزاء الضمير في كل حين وزمان ووقت). وتأثر بهذا الأسلوب أبو حيّان التوحيدي فقال في الإمتاع والمؤانسة (٨٨/٣-١٠٧): (بل لكل ذلك وقت وحين وأوان).

٢٣- (٨١/١) (والأسرنج والزنجفور واللازورد والأشربة والأنبجيات). وفسّر المحقق (الأنبجيات) فقال (جمع أنبج). قال الخليل: حمل شجرة بالهند يربب بالعسل على خلقة الخوخ محرّف الرأس في جوفه نواة كنواة الخوخ). قلت: نقل ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (٦٥/١) أنبج

عن أبي حنيفة أنه منه الحلو ومنه الحامض الذي يخلو بعد مدة. ويكبس الحامض منه في الحباب. وعندنا في شفيدل من انكلترا- النوعان، الحامض المكبوس بالخل والقلقل الحار وما يُقال له (الكاري)، والحلو الطري الذي يباع فاكهة. وكلاهما يجلب من الهند. والأنبج سماه داود الأنطاكي في تذكرته باسمه الهندي وهو (أنبه) بالهاء المهملة. وهو في العراق لا يُعرف منه إلا المكبوس ويُقال له (عنبه) بقلب الهمزة عيناً. وقلب العرب هاء (أنبه) إلى جيم عند التعريب معروف، كقولهم في نيله نيلج، وفي لوزينه لوزينج. وأغلب العراقيين لا يعلمون معنى (أنبج) ولا (أنبجات) وإنما يعلمون معنى (عنبه). وفيما ذكرته توضيح عسى أن ينفعهم.

٢٤- قول في الفرق بين استعمل واستخدم:

(٩٧/١). كتب المحقق عنواناً هو (استخدام الكتابة في أمور الدين والدنيا). وفي ٢٤٨/٧ كتب عنواناً يقول (استخدام القرون). و(استخدم) لغير العاقل لغة غير فصيحة، وقد استعملت مع ذلك في شعر قليل من المولدين. وذلك أنها مختصة بالعاقل. تقول استخدمت الحمّال في حمل حقائب، واستخدمت حاسباً في تجارتي. ومن ذلك قول الجاحظ في كتابه الحيوان (١٦٥/١) (والخصي مال وملك واستخدامه حسن وجميل). أما لغير العاقل فيستعمل (استعمل) كقول علي ابن أبي طالب في عهده للأشتر (فإن تعاهدك في السرّ لأمرهم حدوة لهم علي استعمال الأمانة) (نهج البلاغة ٩٦/٣)، وكقوله من خطبة له (استعملت المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب) (نهج البلاغة ٢٠٩/١). وكقول الجاحظ (إما أن تكونوا استعملتم الاشتقاق في علم ما أورثوكم وإما أن يكون ذلك تهيأ لكم من طريق الاتفاق) (الحيوان ٨٣/١)، وكقول ابن الرومي:

ولو كان الفتى حقاً إذا ما استعمل الكذبا

فالفصيح أن يقول المحقق (استعمال الكتابة...) و(استعمال القرون..). إن استعمال (استخدم) لغير العاقل مشاع في عصورنا الحديثة، كقول الدكتور طه حسين (إنما نلائم بين حاجاتنا وبين الأدوات التي نستخدمها لنرضي تلك الحاجات) (حديث الأربعاء ٥٩٠) والفصيح: الأدوات التي نستخدمها. ثم إن الحاجات تُقضى ولا تُرضى، قال تعالى: (إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) (يوسف، ٦٨)، وقال زهير بن أبي سلمى:

وقال سأقضي حاجتي ثم أنقي عدوي بألف من ورائي ملجَم

وممن استعمل (استخدم) لغير العاقل أيضاً العلامة محمد كرد علي في قوله: (يحاولون استخدام كل قوة) (سيرة أحمد بن طولون ٦)، والفصيح: يحاولون استعمال كل قوة.

٢٥- (١٠٥/١) لسعيد بن وهب فيمن التحى وزال جماله:

فالآن حين بدت بخدك لحيّة ذهب بملحك مثل كف القابض

ولا أجد معنى مقبولاً في (مثل كف القابض). وأجد أن (مثل) تحريف (ملء) وهي نعت للحيّة - أي بدت لحيّتك ملء كف من يقبضها. وهو قول فيه صورة ذات حركة تدعو إلى الابتسام والانشراح.

٢٦- (١٠٧/١) مما ذكره عبد الأعلى القاصّ في بعض قصصه (الفقير

مرفته سُلفَة، ورداؤه علقَة، وجردقته فلقَة، وسمكته شلقَة، وإزاره خرقة). فوربت (سُلفَة) بالفاء وبضم السين، وهي لا تشاكل أربع سجعات بعدها بالقاف فالفاء. وواضح أنها تصحيف (سُلقة) بالقاف وبكسر السين. والسلق من أرخص

البيقول وأنفعها للفقراء وغيرهم، لذلك نعتة جالينوس بالبقلة الرحيمة. ووردت (سِلْقَة) على الصواب عند إعادة القول مختصراً في المحاسن والمساوئ (٤٥٣/١) وهو (قال عبد الأعلى القاضي: الفقير مرقتة سلقة). و(القاضي) تحريف (القاص)، وهو عبد الأعلى الذي تقدم ذكره، ولم ينبه محقق المحاسن والمساوئ على هذا التحريف، وهو محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢٧- (١١٢/١) قال الجاحظ (ولشدة نهم الإناث صارت اللبوة أشد عراماً وأنزق إذا طلبت الإنسان لتأكله). ولا أجد وجهاً لذكره الإنسان وحده مطلوباً من قبل اللبوة. والوجه أن يقول (... إذا طلبت الحيوان أو الإنسان). إن صيد اللبوة للحيوان أكثر من صيدها للإنسان بمرار كثيرة.

٢٨- قول في عرق النسا:

(١١٦/١) في نسخة ل (وكان العضو الذي كان يسند توتير عرق النسا...). ولم يرتض المحقق رواية (عرق النسا) وأخذ برواية (النسا) من ط ، وقال (ولا يُقال عرق النسا وإنما هو النسا من دون إضافة. قال الزجاج: لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه).

أ- قلت: كان يقال (نسا) دلالة على عرق، كقول امرئ القيس:

وأنشب أظفاره في النسا فقلتُ هُبلتُ ألا تنتصر؟

وأيضاً كان يُقال (عرق النسا) دلالة على عرق، ودلالة على داء أو وجع، وسيأتي بيان ذلك. ثم منع الأصمعي من قولهم (عرق النسا). قال كما في إصلاح المنطق ١٨٥. (هو النسا ولا يقال عرق النسا كما لا يقال عرق الأكل ولا عرق الأجل). ثم جاء الزجاج بأخرة فخطأ ثعلباً في استعماله (عرق النسا)

في كتابه (الفصيح) كما ذكر السيوطي في المزهر ٢٠٤. وقول الأصمعي مدفوع. قال الفراء، كما في الصحاح (١١٩٩/٣ جمع): (العرب تضيف الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظين كما قال الشاعر:

فقلتُ انجوا عنها نجا الجلد إنه سيرضيكما منها سنامٌ وغاربه

قلتُ: جلد ونجا بمعنى واحد. وقد أضيف الشيء إلى نفسه في أسماء كثيرة من طريق الإضافة البيانية كحل الوريد في قوله تعالى (ونحنُ أقرب إليه من حل الوريد) (ق/١٦) أي الحبل الذي هو الوريد. وكحقُّ اليقين في قوله عز وجل (إنَّ هذا لهو حقُّ اليقين) (الواقعة/ ٩٥) أي الحق الذي هو اليقين. و(سنخ أصل) في قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في نهج البلاغة ٥١/١ (لا يهلك على التقوى سنخ أصل) ^(١) أي السنخ الذي هو أصل. و(كرى النوم) في قول تأبط شراً كما في الديوان ٥٣ والحيوان (٦، ٤٦٧):

إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كالى من قلب شيحان فائك

أي الكرى الذي هو النوم، و(عرة الجرب) في قول عمر بن أبي ربيعة:

هندٌ أطاعت بي الوشاة فقد أمست تراني كعرة الجرب

أي العرة التي هي الجرب. و(عرق النساء) كما في قول ثعلب في كتابه الفصيح مثل ذلك. والعرب تقول للدهن المستخرج من الزيتون (زيت) ولكن العراقيين يقول له خاصيهم وعاميهم (دهن الزيت) أي الدهن الذي هو الزيت.

١. ذكر العلامة الشيخ محمد عبده شارح الكتاب أن سنخ أصل تفسيران هذا أحدهما. وفي الكتاب (سنخ) بفتح السين والصواب الكسر وهو خطأ مطبعي.

وهو عامي فصيح معاً. والشواهد التي زدتها على شاهد الفراء فيها مزيد دفع لقول الأصمعي ولمن تابعه فيه كالزجاج وغيره.

ب- وكانت العرب تقول للمصاب بداء أو وجع في النسا (به نسا) أو (به وجع النسا)، كقول الأغلب، كما في التبيهات على أغاليط الرواة:

من اللجيمين أرباب القرى ليست به واهنة ولا نسا

وكقول علقمة التيمي أو ابنه أو أبي المرهف كما في سمط اللآلئ ٤٥٦/١:

ولا قصرت من خطاي خطوتي ولا وجعت من نساي ركبتي

وأيضاً كانت العرب تستعمل (عرق النسا) للدلالة على داء أو وجع في النساء، وذلك عندي لاجتتاب اللبس بـ(نسا) الذي هو عرق. وأقدم زمن أعلمه لذلك هو زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. ففي أنساب الأشراف (ق ٣ ص ١٠) أن عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت الخاصرة تأخذ رسول الله ونقول عرق النسا). وفي تاريخ الطبري ١٣٥/٣ أن فروة بن مسيك توجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وألقى بين يديه شعراً منه:

لما رأيت ملوك كندة عرضت كالرجل خان الرجل عرق نساها

يممت راحلتي أومّ محمداً أرجو فواضلها وحسن ثرائها

ثم نرى في أنساب الأشراف (٤٩٤/١) أن الحسن البصري قال (انطلقت أنا وأنس بن مالك إلى أبي بكر نعوذ به وكان به عرق النسا). وفي المستطرف من كل فن مستظرف (٢٣٢/٢) جاء في عبدالله بن جعفر وعبد الملك بن

مروان: (فقال ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين؟ قال: هاج بي عرق النسا في ليلاتي هذه فبلغ مني ما ترى). والخبر مذكور أيضاً في جمع الجواهر في الملح والنوادر ٥٧ للحصري. وقال الفراء كما في معاني القرآن (٢٢٦/١) في الآية ٩٣ من سورة البقرة في النبي إسرائيل عليه السلام: (يُذكر في التفسير أنه أصابه عرق النسا). وقال النضر بن شميل في تهذيب اللغة (٨٢/١٣ نسا): (رجل أنسى وامرأة نسيا إذا اشتكيا عرق النسا). قلتُ: (نسيا) تحريف (نسياء) وهو كألَمى ولمياء، وسكت عن ذلك محقق الكتاب أحمد عبد العليم البردوني والمراجع علي محمد البجاوي. وقال الطبري كما في تأريخه (٥٣١/٣): (وكان يسعد عرق النسا ودماميل). وقال أبو هلال العسكري كما في الفروق اللغوية ١٣٩ (والوجع الذي يسمى عرق النسا).

ج- وعلى الجملة: يقال (النسا) لعرق في الجسم. ومنه قول امرئ القيس:

وأنشب أظفاره في النسا فقلتُ: هُبِلتُ ألا تتنصر؟

ويقال (عرق النسا) بمعنى داء في النسا أو وجع فيه. ومنه قول عائشة رضي الله عنها (كانت الخاصرة تأخذ رسول الله ونقول عرق النسا). واطراد استعمال ذلك منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أدى إلى ترك تعبيرين كانا في زمانه بالتدرج، التعبير الأول (به نسا) أو (به وجع النسا) للدلالة على داء، والآخر قولهم (عرق النسا) بمعنى (النسا) أي من دون دلالة على داء أو وجع. وما ذكره النضر بن شميل وهو (رجل أنسى) و(امرأة نسياء) للدلالة على داء أو وجع من الفصيح العالي إلا أن استعماله في غاية القلة. وأما ما ذكره الأصمعي من أنه لا يقال (عرق النسا) فغير صحيح.

فائدة: من المفيد أن أختتم البحث بأن أخرج عنه بعض الخروج فأثبت ههنا ما قاله ديسقوريدوس في معالجة عرق النسا. وهو أجلّ عشاب في تاريخ الطب عرف حتى الآن. قال - كما في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٦/٢ - (يُمَلِّح الجَرِّي ويترك ساعة ثم يطبخ في الماء مضافاً إليه الماء الذي سال منه دون أن يغسل الجَرِّي، ثم يُحتقن بمائه فيبرئ من به عرق النسا).

٢٩- قول في زاد عن:

(١١٩/١) قال الجاحظ (ويحطهم عن مقادير إخوانهم كما يزيد الصقالبة عن إخوتهم)، فعَدَى (يزيد) بعن، وهي تعديّة مولدة، وخير منها التعديّة بعلى.

والجاحظ أقدم من وجدته يعدي (زاد) بعن. وأظن أن سنده في ذلك أن العرب ربما عدّت الفعل بحرف الجرّ الذي يعَدَى به ضده. والضد ههنا (نقص)، وأرى أنهم استعملوا هذه التعديّة في الشعر دون النثر. ومن الشواهد على تعديّة زاد بعلى قوله تعالى. (أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً) (المزمل، ٤).

وقول النابغة الذبياني (معجم ما استعجم ١٠٢٦/٣):

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتني على وعل في ذي الفقارة عاقل

وقول عمرو بن قميئة (الديوان / ٤٣):

وفيهنّ خولة زين النساء زادت على الناس طراً جمالا

وقول الأعشى (الديوان / ٣٧٩):

فذا الشنء فاشنأه وذا الود فأجزه على وده أو زد عليه الغلانيا

وقول أبي صخر الهذلي (أمالى القالي ١٤٩/١):

فياحب ليلى قد بلغت بي المدى وزدت على ما ليس يبلغه الهجرُ

وقول يزيد بن مفرغ الحميري (خزانة الأدب ٤/٢٥٠):

فاكفف دعي زياد عن أكارمنا ماذا تزيد على الأحقاد والدمن

وكتب به المغيرة بن شعبة وهو على السواد (فتوح البلدان ق ٢/٣٣١) (إنّ
قبلنا أصنافاً من الغلة لها مزيد على الحنطة والشعير).

٣٠- (١١٩/١) في الخصي (فإن هم لم يستقصوا جبابه فإنما يدخل الرجل
منزله من له نصف ذلك العضو). وقال المحقق (في الكلام نقص وتحريف ولعلّ
صواب العبارة: فأما من لم يُستقص جبابه فقلما يدخل الرجل منزله منهم).
هكذا، يتألف كلام جديد الألفاظ والتركيب مع خروج عن المعنى، وقوله (منهم)
يريد: أحداً منهم. وقول الجاحظ لا نقص فيه ولا تحريف ومعناه واضح، أراد:
إذا لم يُستقص جباب الخصي فمشتريه يدخله منزله ويخلطه مع النساء (دون أن
يدري أن له قدرة ما على الجماع).

٣١- (١٣٢/١) قال الجاحظ (وشكت امرأة زوجها وأخبرت عن جهله
بإتيان النساء وعيه وعجزه، وأنه إذا سقط عليها أطبق صدره، والنساء يكرهن
وقوع صدور الرجال على صدورهن، فقالت: زوجي عيائء طباقاء وكلّ داء له
داء). وكان الأولى بالجاحظ أن يقول: (جاء في حديث أم زرع قول إحداهنّ
تشكو زوجها وتخبر عن جهله بإتيان النساء...) إلى آخر قوله. أما حديث أم
زرع فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للرسول صلى الله عليه وسلم: (جلس
إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهنّ شيئاً...).
قلت: وتكلمت الأولى فالثانية فالثالثة فلما وصلت النوبة إلى السابعة

قالت: (زوجي غياياء أو عياياء طباقاء، كلّ داء له داء، شجك أو فلّك أو جمع كلاً لك). فالصواب فيما رواه الجاحظ (زوجي غياياء أو عياياء) و(كل داء) دون إدخال الواو على (كل)، والحديث بتمامه رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وللقاضي عياض كتاب في هذا الحديث اسمه (بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد) وهو كتاب شائق ومفيد.

٣٢- (١/١٣٤) قال الجاحظ (وقال عبدالله بن الحارث وكتب بها إلى عبد الملك بن مروان حين فارق مصعباً:

بأيّ بلاء أم بأية علة يقدّم قبلي مسلم والمهلبُ
ويُدعى ابنُ منجوف أمامي كأنه خصيُّ دنا للماء من غير مشربِ

... فلما أخذته قيس نصبوه وجعلوا يرمونه بالنبل... فلما أتى مصعب برأسه قال لسويد: يا أبا المنهال كيف ترى؟ قال: أيها الأمير هو والله الذي أتى الماء من غير مشرب). وقد وهم الجاحظ في قوله إن عبدالله بن الحارث كتب بالبيتين إلى عبد الملك بن مروان، لأن اللائق بالخبر أن يكون بعث بهما إلى مصعب بن الزبير يعاتبه في تقديمه جماعة عليه منهم المهلب بن أبي صفرة. وكان المهلب حينئذ بالعراق وتحت إمرة مصعب. وأرى أن عبدالله بن الحارث همّ باللحاق بعبد الملك فعوجل بالقتل. وآخر البيت الأول مضموم وآخر الثاني مكسور وهو إقواء لم ينبّه عليه المحقق.

٣٣- (١/١٣٩) قال الجاحظ (ويقال إن الحمر الوحشية، وخاصة الأخرية، أطول الحمير أعماراً، وإنما هي من نتاج الأخر فرس كان لأردشير بن

بابك... قلت: القول في (الحمرة الوحشية) عامة لقوله (ويقال إن الحمرة الوحشية)، وقوله: (وخاصة الأخرية) عبارة اعتراضية، فميم انقلب الإخبار كله وهو في نحو أربعة أسطر عن الأخرية؟ وأين خبر إن في قوله (إن الحمرة الوحشية)؟ أرى أن الوجه في الكلام أن يكون: (والحمرة الوحشية طويلة الأعمار، ويقال إن الأخرية أطولها أعماراً وهي من نتاج الأخر فرس كان لأردشير بابك...) إلى آخر قوله فيها.

٣٤- (١/١٤٠) قال الجاحظ (فعرف آخرهم صنيع أولهم وعرفوا مقدار مقادير أعمارهم). و(مقدار) حقها أن تجتنب، لزيادتها ونبوّها.

٣٥- (١/١٤٩) قال الجاحظ (فمن الباطل أن الشبوط ولد الزجر من البني). ولكنه أورد بعد ذلك خبراً هو (زعموا أن أم جعفر بنت جعفر بن المنصور حصرت في حوض لها ضخمة أو بركة كبيرة عدداً كثيراً من الزجر والبني وأنها لم تخلص بهما غيرهما فمات أكثره وبقيت بقية كانت الصميم في القوة وفي احتمال تغيير المكان، فلم تحمل البيض حيناً، ثم إنَّها حملت بالشبايط). قلت: إذا صحَّ الخبر - وأراه صحيحاً - كان الشبوط كالبعغل ولد الفرس من الحمار وكالعسبار ولد الضبع من الذئب وكالديسم ولد الكلبة من الذئب. وفي ص ١٥١ نفى الجاحظ خبر أم جعفر بقوله (وكذبوا على أم جعفر) هكذا، بلا بيّنة ولا شاهد. وفي ص ١٥٠ سخر من الألمعي إياس بن معاوية لقوله إن الشبوط ولد الزجر من البني، وقال فيه (وهمه العُجب بنفسه أنه لا يروم شيئاً فيمتنع عليه، وغرّه من نفسه الذي غرّ الخليل بن أحمد حين أحسن في النحو والعروض فظن أنه يحسن الكلام وتأليف اللحون فكتب فيهما كتابين لا يشير بهما ولا يدل عليهما

إلا المرّة المحترقة، ولا يؤدي إلى مثل ذلك إلا خذلان من الله) هكذا، وهي سخريّة من رجلين هما من مفاخر العرب.

٣٦- (١٥٨/١ أو ١٥٩) (وذلك أيضاً مما يعرض للنساء والإفراط في شهوتهنّ وشدة الهمة لهنّ والغيرة عليهنّ). وأظن أن شيئاً سقط من النص في أثناء النسخ أو الطبع. أما (وشدة الهمة) فلا معنى لها ههنا، وأجد أن (الهمة) محرقة عن (الغلمة) وهي الشهوة إلى النكاح. واستعمل الجاحظ هذه اللفظة في مواضع من كتابه كقوله (١١٠/٣) (وقلت لأعرابي: أيما أشد غلّمة المرأة أو الرجل؟). وكما في (١٥٩/٣) و(٢٢٣/٥) و(٢٢١/٧).

٣٧- (١٦٠/١) في قطع ألية الشاة ليسهل عليها اللحاق بالقطيع: (وقطع الألية في جواز العقول أشبه من الميسم، لأن الميسم ليس للبعير فيه حظ وإنما الحظ فيه لرب المال، وقطع الألية من شكل الختان ومن شكل البط والفسد)، و(جواز العقول) لا معنى لها ههنا، وأرى أن الصواب ما في ط وهو (جواز القول) وكان على المحقق أن يأخذ به. و(أشبهه) أراها محرقة عن (أشوى) أي أهون وأقل أذى.

٣٨- قول في (بل إن):

(١٦١/١) قال الجاحظ (قال الأولون بل لعمرى إن للليل في السمات لأعظم المنافع). والفصيح أن يقول (بل لعمرى للليل في السمات لأعظم المنافع)، بحذف (إن) لأن العرب لم تقل (بل إن). قال عزّ من قائل (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) (النور/١١) ولم يقل بل إنه خير لكم. وقال جلّ ثناؤه (بل الإنسان على نفسه بصيرة) (القيامة/١٤)، ولم يقل بل إن الإنسان. وقال تعالى (بل قلوبهم في غمرة) (المؤمنون/٦٣)، ولم يقل بل إن قلوبهم في غمرة. وقال تبارك اسمه (إنا لمغرمون بل نحن محرمون) (الواقعة/٦٦) ولم يقل بل إننا محرومون. وقال عمرو بن شأس (أمالي القالي ٢٦٩/١):

لسنا نموت على مضاجعنا بالليل بل أدواؤنا القتلُ

وقالت الخنساء (العقد الفريد ٤/٤١٨):

بأفضل سيباً من يدك ونعمة تجود بها بل سيب كفك أجزلُ

ولي بحث مطول في ذلك نشرته في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٥٩ ج ٤ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م فمن شاء الرجوع إليه فعل إن شاء الله.

٣٩- قول في نفي الفعل الثاني:

(١٦٢/١) قال الجاحظ (حلّ لك من ذلك ما كان لا يحل)، والاختيار أن يقول (حلّ لك من ذلك ما لم يكن يحل)، فيكون النفي للفعل الأول دون الثاني. قال تعالى (إذا أخرج يده لم يكد يراها) (النور/٤٠) ولم يقل كاد لا يراها. وقال جلّ ثناؤه (فذبوها وما كادوا يفعلون) (البقرة/٧١) ولم يقل وكادوا لا يفعلون. وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب له إلى عماله على الخراج- كما في نهج البلاغة ٨١/٣- (فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام) ولم يقل: فإنه ينبغي للمسلم أن لا يدع ذلك. وقالت ليلى الأخيلية:

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليلُ

وقال الراجز:

رأت على الماء جُذيلاً واتدا ولم يكن يخلفها المواعدا

وكان الوزن يجيز له أن يقول: وكان لا يُخلفها المواعدا، ولكنه أثر اختيار المختار. وقال الأمير عبدالله بن محمد الخفاجي في (سرّ الفصاحة ١٦٥): (وهذان عبرا عما لا يجب أن يُكنى عنه) ولم يقل: عبرا عما يجب أن لا يُكنى عنه. وقال الحطيئة كما في الإعجاز والإيجاز ٦٦:

جاورت آل مقلد فحمدتهم إذ لا يكاد أخو جوار يُحمدُ

وممن اضطرّ إلى العدول عن ذلك زهير، قال:

صحا القلبُ عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأفقر من سلمى التعانيق فالتقل

وممن أخذ بغير المختار ابن درستويه، قال في (تصحيح الفصيح ٢٤١/١):
(فماضيه يجب أن لا يكون مفتوحاً) وهو يريد: فماضيه لا يجب أن يكون
مفتوحاً. وقال الدكتور طه حسين في (حديث الأربعاء ٦٢): (وأكاد لا أعرف
شاعراً) والمختار: ولا أكاد أعرف شاعراً. وقال في الصفحة نفسها (وتكاد أن لا
توجد في سائر القصيدة) والاختيار: ولا تكاد توجد في سائر القصيدة.

وفي كتاب العين (١٨٣/٣ لحد) قال محققاه الدكتور مهدي المخزومي
والدكتور إبراهيم السامرائي (وجاء في الأصول المخطوطة ما يجب أن لا يضم
إلى كتاب العين) والمختار: ... ما لا يجب أن يضم إلى كتاب العين، وقال
أستاذي العلامة الدكتور مصطفى جواد في مقدمته لكتاب تقويم اللسان والقلم
(ومثل هذا القول يجب أن لا يتخذ حجة) والاختيار: ... لا يجب أن يتخذ حجة.

٤٠ - (١٦٤/١) (وقد أقررت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبل له من
المقوقس كما قبل مارية واستخدمه). والعبارة (قد قبل له من المقوقس) حقها أن
تكون (قد قبل من المقوقس خصياً له) بدلالة (واستخدمه) في النص المذكور
وبدلالة ما جاء بعده وهو (فقد علمنا أنه ليس في الحديث أنه قبل منه بعد أن علم
منه أنه خصي). وأرجح أن ذلك من عثرات الطبع دون النسخ ولم يُنبّه عليه.

٤١- (١٦٦/١ و ١٦٧) وصف الجاحظ مني الخصي بأنه قليل متغير
الريح ضعيف، وقال إنه عند خروجه منه عند الجماع: (لا يُخرجه من القوة إلى
الضعف مثل الذي يعتري من يخرج منه شيء يكون من إنسان وهو أخثر وأحد
ريحاً وأصح جوهرأ). وقوله (مثل الذي يعتري من يخرج منه شيء يكون من
إنسان) تعبير غير بين، وأراه أراد أن يقول: (مثل الذي يعتري الفحل الذي يكون
منه أخثر وأحد ريحاً وأصح جوهرأ) ولكنه عبّر عنه بما ترى. و(الفحل) أي
الإنسان الفحل، واستعملها الجاحظ بهذا المعنى كثيراً.

٤٢- (١٦٧/١) قال الجاحظ في ملامسة الرجل للمرأة (وأن تكون مرة من
فوق ومرة من أسفل). والاختيار أن يقول (... ومرة من تحت)، لأن (تحت) ضد
(فوق). وقال في الديك (٢، ٢٥٨) (وضلاله من أسفل كضلاله من فوق) والاختيار
(وضلاله من تحت). قال أبو هلال العسكري في (الفروق اللغوية ١٧٩): (الفرق
بسين أعلى وفوق أن يكون أعلى الشيء منه. يُقال: هو في أعلى النخلة يراد أنه
في نهاية قامتها. ونقول السماء فوق الأرض، ولا يقتضي ذلك أن تكون السماء
من الأرض، وأعلى يقتضي أسفل، وفوق يقتضي تحت، وأسفل الشيء منه
وتحته ليس منه) قلت: وقال تعالى: (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) ولم يقل
(فوقها سافلها) ولا (عاليها تحتها).

وتقول: هو فوق الفراش، لأنه ليس منه، ونقول: (هو تحت اللحاف)، لأنه
ليس منه. وقد قالت التغلبية للجحاف في وقعة البشر الحيوان (الحيوان ١/٢٤):
(فوالله إن قلت إلا نساء أعاليهن ثدي وأسافلهن دمي) فأعاليهن وهن الثدي
منهن، وأسافلهن وهن الدمي منهن.

٤٣- قول في الاسم (سعيد بن سلم):

(١٧٠/١ و ١٧١) (قال سعيد بن مسلم، لأن يرى حُرمتي ألف رجل على حال تكشف منها وهي لا تراهم أحب إلي من أن ترى حُرمتي رجلاً واحداً غير متكشف). و(مسلم) تحريف (سلم)، وسكت عنه المحقق. وأيضاً حُرّف في (٣٢/٣) ثم جاء على الصواب في (١٦١/٥) فعرف به المحقق تعريفاً ناقصاً، ولم يتلفت إلى ما سبق من تحريف في اسم أبيه. وورد الاسم على الصواب في البيان والتبيين (٢٠٠/٢ و ٢٥٤) وجاء فيه أنه كان يساير الخليفة موسى الهادي. و أورد ابن قتيبة في عيون الأخبار (٣٢/٤) قول أعرابي في مدحه:

أيا سارياً بالليل لا تخش ضلّةً سعيدُ بن سلم ضوء كل بلاد

وأورد المبرد في الكامل (٧/٣) قول عبد الصمد بن المعذل فيه:

كم يتيم نعشته بعد يُتم وققير أغنيته بعد عُدَم

كلما عَضت الحوادث نادى رضي الله عن سعيد بن سلم

وأفاد ابن خلكان في الوفيات (٨٨/٤) أنه حفيد قتيبة بن مسلم وقال (تولى سعيد أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة وتوفي سنة سبع وعشرين ومئتين). ومع أن ابن خلكان ذكر اسم أبيه صحيحاً في كتابه وكذلك فعل الخطيب البغدادي في ترجمته في تاريخ بغداد (٤٦٥/٨) فقد حرّفه الذهبي إلى (مسلم). وإن حُرّف (سلم) إلى (مسلم) فقد حُرّف في الأغاني إلى (سالم). جاء فيه (وركب الرشيد يوماً قبةً وسعيد بن سالم معه في القبة). وكرّر الخطأ

في الصفحة مرتين. ولم ينتبه إلى ذلك المحقق عبد الكريم العزباوي ولا المراجع محمد أبو الفضل إبراهيم.

٤٤- (١٧٢/١) في الخصي (ويحمل في ذلك الحديد، ويقاثل دون السخول ويتمشى مع الشطار). وقال المحقق في (السخول) إنها في ط (السجون). قلت: أرى أن (السخول) و(السجون) تحريف (الفحول) والمراد بالفحول في النص مالكي الخصيان. وسياق النص يدل على ما أقول، والخصي ضد الفحل، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحيوان (١٠٩/٤) وهو: (وزعم لي رجال من الصقالبة خصيان وفحول).

٤٥- (١٧٥/١) لأبي عبدالله الجمّاز:

ظبـيٌّ سـنـانٌ شـريـكي فـيـه فـبـئـس الشـريـكُ

فـلا يـنـيـك سـنـانٌ ولا يـدعـنـا نـنـيـك

وفي البيت الأول رُسمت ضمة على آخر (سنان) وكأنه ممنوع من الصرف، والصواب تتوين الضم لأنه ليس ممنوعاً من الصرف. وفي البيت الثاني جُزم (يَدَعْنَا) من غير جازم. ويجوز أن يكون الذي قاله الجمّاز (ولم يَدَعْنَا) وبه يستقيم البيت من جهة الوزن والنحو، ثم وقع عليه التحريف.

٤٦- (١٧٦/١) روى الجاحظ أربعة أبيات لبعضهم في متاعه، جاء في

آخرها:

فلا والله ما أمسى رفيقي ولولا البول عوجل بالخصاء

وعجز البيت لا يصح، لأن الخصاء لا يمنع من البول، والخصيان يبولون كسائر الفحول، وإن كان قائل البيت لم يلتفت إلى فساد المعنى في قوله هذا فكيف سكت الجاحظ عنه؟.

٤٧- (١٨١/١) قال الجاحظ (ولنصل هذا الكلام بالكلام الذي قبل هذا)، هكذا، وهو قول فيه ضعف تأليف، والأولى أن يقول: (ولنصل هذا الكلام بالكلام الذي قبله).

٤٨- (١٨٢/١) قال الجاحظ مفسراً قول الشاعر (يقول إذا هرب المطلوب الهارب من الطالب الجاد)، وقوله (الهارب) زيادة لا حاجة إليها، والبلغ أن: (... إذا هرب المطلوب من الطالب الجاد).

٤٩- (٢٠٦/١ و ٢٠٧) قال الجاحظ مخاطباً القارئ: (وأظنك ممن يرى أن الطاووس أكرم على الله تعالى من الغراب، وأن التدرج أعز على الله تعالى من الحدأة، وأن الغزال أحب إلى الله تعالى من الذئب). وقوله (وأظنك) سوء ظنّ بالقراء، وهو حقيق بالاستغراب، واللائق به أن يقول: وقد يظن قسم من القراء أن الطاووس... إلى آخر قوله.

٥٠- (٢٠٨/١) قال الجاحظ في التين (... وأنه عند أهل الكتاب الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام وبورقها ستر السوءة عند نزول العقوبة). قلت: قوله هذا فيه نظر. فبين يديّ مصورات لتفاسير قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (البقرة/٣٥) وهي للطبري والقرطبي وابن كثير والزمخشري. وكلها تخالف زعم الجاحظ في التين أنه عند أهل الكتاب الشجرة

التي أكل منها آدم عليه السلام، وأنا راجع إلى تفسير الطبري لأنه البحر الذي
 اغترفت منه سائر التفاسير فأقول: يقول الطبري في تفسيره جامع البيان
 (٥١٨/١) إن وهب بن منبه اليماني قال (وأهل التوراة يقولون هي البُرّة)، وإن
 موسى بن هارون قال: (وتزعم اليهود أنها الحنطة). وذكرت الحنطة والبر
 والسنبلة والمعنى واحد في عشرة مواضع من قبل عشرة علماء. وقيل هي
 الكرمة أو العنب أو شجرة الخمر والمعنى واحد في عشرة أقوال من قبل عشرة
 علماء، فمن ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه (هي الكرمة) (٥١٨/١). وقيل
 هي شجرة التين في قولين ضعيفين، أحدهما (وقال آخرون هي التينة) (٥٢٠/١).
 والقول الآخر: (عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: تينة)
 (٥٢٠/١). فليس في أي من القولين الأخيرين الخاصين بالتين عبارة (أهل
 الكتاب) ولا (أهل التوراة) ولا (أهل الإنجيل)، وإنما ذكرت التوراة واليهود في
 الحنطة والبُرّة.

أما بعد، فإنّ الشجرة لم يُذكر اسمها في القرآن ولا في الحديث النبوي،
 ولذلك اختلف أهل العلم في اسمها. وعندني أن (تلك الشجرة) هي كناية عن
 الباءة، وقيل لها شجرة لأنها تسقى من ماء الإنسان. يدل على ذلك أنّ حواء وآدم
 عليهما السلام لما أصابا منها انكشفت عوراتهما (وظفقا يخرصان عليهما من
 ورق الجنة). وكأنني بالشيطان أيقظ عوراتهما بعد سبات دائم، بمكره وخبثه.

٥١- (٢١٠/١) قال الجاحظ (ولو وقف عليه رجل رقيق اللسان، صافي
 الذهن، صحيح الفكر، تام الأداة، لما برح تحسره المعاني وتغمره الحكم). وقوله
 (لَمَّا) في جواب (لو) قد مضى القول فيه في (٤٦/١) وأنا متوقف عند (رقيق)

فسي (رفيق اللسان) وأرجح أنها تحريف (ذليق) وهي توافق سياق القول دون (رفيق).

٥٢- (٢١٠/١) قال الجاحظ: (ونحن نرى أن تمثيل ما بين خصال الذرة والحمامة، والفيل والبعير، والثعلب والذئب أعجب، ولسنا نعني أن للذرة ما للطاووس من حسن ذلك الريش وتلاوينه). ولا معنى لـ (تمثيل) ما بين كذا وكذا، وإنما هي تصحيف (تمثيل) أي موازنة. ووردت (الذرة) في النص مرتين، وبينّ عندي أنها محرّفة عن (الوزة). وأي خصال للذرة لتقاس بخصال الحمامة؟ وأي ريش لها ليُمَيَّلَ بينه وبين ريش الطاووس؟.

٥٣- قول في الأوتار الأربعة:

(٢١٣/١) ذُكرت طبائع البشر الأربع أو الأخلاط الأربعة وهي البلغم والسوداء والصفراء والدم. وجاء بعد ذلك (وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتار الأربعة)، هكذا بالدال من (الأوتاد). وقال المحقق: إنه في ل (الأوتار الأربعة). قلت: ما في ل هو الصواب الذي كان عليه أن يأخذ به، وهذه الأوتار تكون في صناعة العود وهي: الزير فالمتنى فالملتث فالبمّ. والزير سبع وعشرون طاقة إبريسم، والمتنى ست وثلاثون طاقة إبريسم، والملتث ثمان وأربعون طاقة إبريسم، والبمّ أربع وستون طاقة إبريسم. وهذه الأوتار تتدرج في القوة من أضعفها وهو الزير، إلى المتنى، فالملتث، فالبمّ، وهو أقواها جميعاً. وبأنغام هذه الأوتار يداوى أصحاب الطبائع الأربع من الجهة النفسية. فصاحب الطبيعة البلغمية وخلطها يارد رطب يداوى بنغمة الزير، وصاحب الطبيعة السوداوية وخلطها يارد يابس يداوى بنغمة المتنى، وصاحب الطبيعة الصفراوية

وخلطها حار يابس يداوى بنغمة المثلث، وصاحب الطبيعة الدموية وخطها حار رطب يداوى بنغمة البم، وكل إنسان له طبيعة واحدة من هذه الطبائع، انتهى مختصراً من كتاب إخوان الصفا (٢٠٣/١) مع زيادة هي مما أحفظه.

٥٤- (٢١٤/١) ذكرت أصدقاء في خلق الإنسان منها (النصيحة والغش، والوفاء والغدر... والتبذل والتعزز). وأرى أن (التبذل) محرقة عن (التذلل). قال الفيروز آبادي في القاموس في (تعزز): (قوي بعد ذلة). وقال أبو العالية كما في الخصائص ٢/٢٤٤:

فـيُذَلَّتْ كَثْرَتُهُمْ بِقَاوِنَةٍ وَأَعْقَبَتْ عَزَّتُهُمْ بِذَانَةٍ

في كتاب العين جاء في (الطفي) وهي جمع طفية، وهي حية لينة خبيثة: وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذل الطفي من رقية الراقي

٥٥- (٢١٥/١) قال الجاحظ (فالكلب سبع وإن كان بالناس أنيساً، ولا تخرجه الخصلة والخصلتان مما قارب بعض طبائع الناس إلى أن يخرج من الكابية) وقوله (ولا تخرجه) ثم (إلى أن يخرج) قصور في البيان. وقوله (الكلبية) الوجه فيه (السبعية). ولأعيد قوله معدلاً أقول: (فالكلب سبع وإن كان بالناس أنيساً، ولا يخرج من السبعية الخصلة والخصلتان مما قارب بعض طبائع الناس).

٥٦- (٢١٩/١) قال الجاحظ في نسك الناس ما هو تكرير لما سبق في ص ١٧٤ مع اختلاف يسير، كقوله في ص ٢١٩ (ونسك الخراساني أن يحج وينام على قفاه)، وهو في ص ١٧٤ (ونسك الخراساني أن يحج)، وكقوله في

ص ٢١٩ (ونسك البنوي والجندي طرح الديوان والزراية على السلطان)، وهو في ص ١٧٤ (ونسك البنوي أن يدع الديوان). وفي ص ٢١٩ (ونسك الرافضي ترك النبيذ) وهو في ص ١٧٤ (ونسك الرافضي إظهار ترك النبيذ) وفي ص ٢١٩ (ونسك دهاقين السواد ترك شرب المطبوخ) وهو في ص ١٧٤ (ونسك السوادي ترك شرب المطبوخ فقط)، وفي ص ٢١٩ (ونسك المغني الصلاة في الجماعة وكثرة التسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) وهو في ص ١٧٤ (ونسك المغني أن يُكثر التسبيح وهو يشرب النبيذ والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في الجماعة). وهو تكرير غير سائغ، وفي بعضه شيء من الاختلاف والاختلال، وغريب أن لا يلتفت المحقق إلى ذلك كله.

٥٧- قول في هداية الحمار الأهلي:

(٢٢١/١) ذكر الجاحظ أمثالا منها (أضلّ من حمار أهلي). وهذا مثل غير صحيح، بل عكسه هو الصحيح، أي (أهدى من حمار أهلي). وهداية الحمار الأهلي معروفة ودليلها قائم. قال القزويني في عجائب المخلوقات (مادة: حمار) : (فإنه إذا مشى بطريق لا ينسأه بعد ذلك) وقال الدميري في حياة الحيوان (مادة: حمار أهلي): (ويوصف بالهداية إلى سلوك للطرق التي مشى فيها ولو مرة واحدة). قلت: ومما يدل على هدايته هذه ما ورد في كتاب أخبار النساء ١٠٨ عن المدائني أنه قال: كان بمكة سفيه يجمع بين النساء والرجال على أقبح الرّيب، فشكا أهل مكة ذلك إلى الوالي فنفاه إلى عرفات. فأخذ بها منزلاً ثم دخل مكة مستتراً فلقي حرفاءه من الرجال والنساء فقال لهم: ما يمنعكم مني؟ قالوا: وأين بك وأنت في عرفات؟ فقال لهم: حمار بدرهمين وقد صرتم إلى الأمن والنزهة والخلوّة واللذة. فأخذوا يأتونه. فكثرت ذلك حتى أفسد على أهل مكة أحداثهم وسفهاءهم. فعادوا بالشكاية إلى أميرهم، فأرسل وراءه، فأتي به، فقال: أي عدو الله، طردتك من حرم الله عز وجل فصرت إلى المشعر الأعظم

تفسد وتجمع بين الخبائث، فقال: أصلح الله الأمير يكذبون عليّ ويحسدونني. فقالوا للوالي: بيننا وبينه واحدة، تجمع حمير المكارين وترسلها نحو عرفات، فإن قصدت إلى داره لما اعتادت من السير إليها فالقول كما قلنا، وإلا فالقول كما قال. فأمر الوالي بحمير المكارين فجمعت وأرسلت فقصدت نحو منزله، وجاءه بذلك أمناؤه. فأمر الوالي بتجريدته، فلما نظر إلى السياط بكى، فقال له الوالي: ما يبكيك يا عدو الله؟ قال: ما من الضرب جزعت، ولكن يسخر منا أهل العراق، ويقولون: إن أهل مكة يجيزون شهادة الحمير). والحكاية مذكورة أيضاً في (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) لعلي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي.

٥٨ - (٢٢٥/١) لأبي الشمقمق:

يوسف الشاعرُ فرخٌ وجوده بالأبلىة
 حلقى قـد تلقى كامناً في جوف جأنة
 خـطوها خشية الكا ب عـليه بمسلة

وغير المحقق في البيت الثاني ما في الأصول وهو (كامن) بأن جعله (كامناً) كأنه أراد أنه حال من تلقى. وعندني أن (تلقى) تصحيف (تلقي) المذكورة في ط ومعناها أحمق. و(قد) زائدة حقها الحذف. فرواية البيت الصحيحة:

حلقى بلقى كامنٌ في جوف جأنة

أي أنه لقيط. وقال المحقق في (حلقى): (انظر شفاء الغليل في تفسير الحلقى)، هكذا مع أن الجاحظ فسّر الحلقى بالمخنت وذلك في كتاب الحيوان (٤٨٨/٦). وكان المحقق قد فسّر الخلاق في ١٣٦/١ فسر المحقق الخلاق قائلاً: (أن يفسد متاعه فينعكس ميله الجنسي)، فقيم أحوالنا من بعد على شفاء

الغليل؟ وقوله (ميله الجنسي) فيه الجنس بالمعنى الذي أراده لفظة عصرية جاءتنا من بعض اللغات الأوروبية. وخير من ذلك كله أن يُقال: الخلاق رغبة الرجل في أن يُؤتى ويقال للمصاب به حقيقي. أو أن يُقال: هو التخنث ويقال للمصاب به مخنث.

٥٩- (٢٢٦/١) قال الراجز:

أحرضُ من كلبٍ على عقي صبي

وقال المحقق (والعقي بالكسر ما يخرج من بطن الولد حين يولد). وكان الأولى به أن يقول (سيفسر الجاحظ العقي)؛ لأنه فسره بعد ثلاثة أسطر بقوله: (يقال للذي يخرج من بطن الصبي حين يخرج من بطن أمه عقي بكسر العين، ويُقال: عقي الصبي يعقي عقياً).

٦٠- (٢٣٤/١) (وقد علم الناس كيف استطابة أكل الجري لأذناها). وقال المحقق: (في ط: لأذناها محشواً. وفي ل: لأذناها محسياً. ومحسياً ومحشواً كلمتان مقحمتان فأسقطتهما. واللام في لأذناها بمعنى إلى). وعده (محشواً) مقحمة وإسقاطها خطأ. وإنما هي تصحيف (محسواً). وقول الجاحظ (محسواً) على القلب لأن المحسو في الأصل هو الماء، ويضاف إلى القدر على قطرات قليلة فإذا نشفت أضيفت غيرها... إلى آخره. والمراد أن أذنا الجري تتحسى الماء - في القدر - كما يتحسأ الطائر قطرات قطرات. وعندئذ يذوب دهنها وتقلى به في أثناء التحسية، على أن تجعل حرارة الموقد قليلة جداً. وهذه طريقة للطبخ يعرفها الحدائق من الطهاة. والمراد بذنب الجري القسم الذي يلي البطن. وقول الجاحظ (أكل الجري لأذناها) أراد به: أكل أذنا الجري. وليس اللام في

(لأذنابيها) بمعنى (إلى) كما قال المحقق. إن الأصل في (أكل الجري لأذنابيها) أكل الجري أذنابيها. وأذنا ب بدل بعض من كل، وأدخلت عليه اللام لتقوية العامل الذي ضعف كما هو معروف في علم النحو. يؤيد ذلك قول الجاحظ في الجري في ص ٢٣٥ (ويرمى كله إلا ننبه). إن أكلي الجري في العراق يفضلون أكل ذنبه على سائر بدنه حين يكون مقلواً أو محسواً.

٦١- (٢٣٦/١) لابن عبدل:

نعم جار الخنزيرة المرضعُ الغر ثي إذا ما غدا أبو كلثوم

وضمت العين من (المرضع) والصواب الكسر لأنه نعت للخنزيرة.

٦٢- (٢٤١/١) لحماذ عجرد في هجاء بشار وتفضيل الخنزير عليه:

وعُودُه أكرمُ من عوده وحنسُه أكرم من حنسه

وقال الجاحظ ينتقد على حماد هذا البيت: (وأنا، حفظك الله، أستظرف

وضعه الخنزير بهذا المكان وفي هذا الموضع حين يقول: وعوده أكرم من

عوده. وأي عود للخنزير قبحه الله تعالى وقبح من يشتهي أكله). ولا موضع

(لأستظرف) لأن الجاحظ مستغرب في قوله: (وأي عود للخنزير قبحه الله).

لذلك أرى أن (أستظرف) تحريف (أستغرب) وبها يصح معنى النص.

٦٣- (٢٤٣/١) لأبي كريمة في كنيفه:

إذا أتاني دخيلٌ زانني بدعاً كأنه لهج عمداً بإضراري

وأرى أن (دخيل) تحريف (خليل) كما يفهم من سياق البيت ومما بعده وهو
قد اجتواني له الخلان كلهم وباع مسكنه من قربه جاري
فذكر المفرد (خليل) ثم جمعه على (خلان).

٦٤- (٢٥١/١) لابن عبدل في الهجاء:

وما يدنو إلى فيه ذبابٌ ولو طُلبت مشافره بقند
يذقن حلاوة ويخفن موتاً زعافاً إن هممن له بورد

وقال المحقق في (يذقن حلاوة) هي في ل (يرين حلاوة). قلت: يذقن التي
اخترها المحقق فيها نظر. ورواية ل صحيحة. وقد تكون الرواية (يرمن) وهي
أيضاً صحيحة. فالذباب (يرين) الحلاوة على مشافره -أو يرمن تلك الحلاوة-
ولكنهن يتحاشين الوقوع عليها خوفاً أن يقتلن نتن فيه، إن الذي يُبعد رواية
(يذقن) ما في البيت الأول وهو (وما يدنو إلى فيه ذباب) ويُبعدها أيضاً ما في
البيت الثاني وهو (يخفن موتاً... إن هممن له بورد). فكان الوجه أن يأخذ
المحقق برواية ل.

٦٥- (٢٥٤/١) لابن الذئبية:

من يجمع المال ولا يَتَّبِ بهِ ويترك المال لعام جذبِه

يُهِن على الناس هوان كلبِه

وقال المحقق في (يُنَّب): كذا في عيون الأخبار ٢٤٣/١ وفي ل يَنْبُه وهو تحريف إملائي. وفي البخلاء يَنْبُه وليس بشيء. قلت: أرى أن ابن الذئبية قال: (يُنَّب به) بالياء المضمومة فالنَاء المكسورة فالباء الساكنة، من أُنَّاب بالمال. والفعل مجزوم باسم الشرط (مَنْ). أي الذي لا يَنْبِب المستحقين من ماله يحتقره الناس.

٦٦- (٢٥٥/١) أربعة أبيات لأبي حزابة أولها:

يا ابن عليّ برح الخفاء أنت لغير طلحة الفداء

و(لغير) ليس لها معنى مقبول في البيت، فهي كالذم لطلحة مع أن المراد مدحه. وأجدها تحريفاً (لعين) كما في الأغاني (١٥٣/١٩). والفداء بالفاء تحريف الفداء بالقاف فالذال كما في الأغاني أيضاً. وبرواية الأغاني يرتفع معنى البيت ويكون له وزنه. وأشار المحقق إلى رواية الأغاني، فليت شعري لم لم يأخذ بها؟.

٦٧- (٢٥٧/١) قال الجاحظ (وكذلك قول الأسود بن المنذر فإنه قال:) ويلي

ذلك بيتان من الشعر. وقول الجاحظ (فإنه قال) زائد ولا موضع له. وقوله (فإنه) تأكيد بأن لا حاجة إليه. وكان يكفيه أن يقول: وكذلك قول الأسود بن المنذر:

٦٨- (٢٦١/١) لأبي الهول في هجاء جعفر البرمكي:

أعني فتى يطعن في دينه يشب معه خشب الصلْب

هكذا عرّض البيت، وكأنّ روايته مرتضاه، مع أنه لا معنى لعجزه. وعندني أن (يشبّ) تصحيف (يسبّ) بالسين المهملة. و(معه) المفتوحة العين الوجه فيها إسكان العين لأنّ الفتح كسر وزن البيت. و(الصلْب) بضم الصاد الصواب فيها فتح الصاد. ومعنى البيت: أعني الذي هو مغموز الدين ويسبّ معه الخشب الذي صلّب عليه.

٦٩- قول في (بل إنما):

(٢٦٢/١) (وإذا صنّغ شأن من هُزموا فقد صنّغ شأن الممدوح، بل إنما قال: أرسلت أسداً على سود الكلاب)، فاستعمل (بل إنما) وفي استعمالها نظر، فاستقرائي منظوم العرب ومنتورهم في الجاهلية وصدر الإسلام يدل على خلوهما منها. وأوجز القول فيهما فأقول: إن (بل) في معنى (إنما) في أكثر الأحيان، وقد قعدت فيهما -حين تكونان كذلك- ثلاث قواعد:

منها: إن العرب لم تقل (بل إنما).

ومنها: يجوز في (بل) و(إنما) إحلال إحداهما محل الأخرى في الجملة المسبوقة بنفي. لذلك يستوي معنيهما في قول علي رضي الله عنه (ما كان به ملوماً بل كان به جديراً) (البيان والتبيين ٥٤/٢) وقول الحجاج (إني سمعت تكبيراً لا يراد به الله إنما يراد به الشيطان) (البيان والتبيين ١٣٢/٢).

ومنها: يجوز إحلال إحداهما محل الأخرى عند وجود نفي مقدر. مثال ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل زيد الخيل: من أنت؟ فقال: أنا زيد الخيل.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: بل أنت زيد الخير. والتقدير: لست زيد الخيل بل أنت زيد الخير. وقال علي لطلحة رضي الله عنهما: (أخرجتم أمكم عائشة وتركتم نساءكم). فقال طلحة: (إنما جاءت للإصلاح) (الإمامة والسياسة ٥٨/١).

والتقدير: ما جاءت للحرب إنما جاءت للإصلاح. فـ(بل) في العبارة (بل أنت زيد الخير) في معنى (إنما) في العبارة (إنما جاءت للإصلاح).

فمن شاء بسط القول في (بل) و(إنما) فليراجع مقالتي المنشورة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، وانظر في ذلك المادة ٣٨.

٧٠- (٢٦٦/١) قال الجاحظ: وقال خليل عيين وهو يهجو جرير بن عطية ويرد عليه:

وعيرتنا بالنخل أن كان مالنا وود أبوك الكلب لو كان ذا نخل

وسبق أن روى الجاحظ هذا البيت قبل صفحتين (ص ٢٦٤) منسوباً إلى الصلتان يجاوب فيه جريراً مع تغيير يسير في الشطر الأول وهو: تعيرنا أن كانت النخل مالنا. ولم ينبه المحقق على ذلك.

٧١- (٢٧٠/١) روى الجاحظ لأبي عدنان قوله هذين البيتين:

فما كلبة سوداء تفري بنايها عُراقاً من الموتى مراراً وتكراراً

أتيح لها كلب فضنت بعرقها فهارشها وهي على العرق تعذم

والشعر يحتاج إلى تنمة، وذلك أن (كلبة) التي هي مبتدأ ظلت بلا خبر، وقال الجاحظ (قف على هذا الشعر فإنه من أعاجيب الدنيا) هكذا، وسكت المحقق عن ذلك.

٧٢- (٢٧٨/١) للمتعب العبدى:

فسلّهم عنك بذات لوث عذافرة كطرفة القيون
وبصاغة الوجيف كأن هراً يباريها ويأخذ بالوضين

والباء في (وبصاغة) تكسر وزن البيت والصواب حذفها وبذلك يصلح الوزن ويبقى المعنى مستقيماً. ونسخة ط بلا باء وأشار إليها المحقق ولكنه لم يأخذ بها.

٧٣- (٢٨٤/١) في أصول كتاب الحيوان (والوجه الآخر فلأن الليل موحش مخوف الجوانب)، ولكن المحقق أضاف إلى أول النص (أما) من عنده فجعل النص: (وأما الوجه الآخر فلأن الليل...) إلى آخره. وقال في (أما) (زيادة يفتقر إليها الكلام) وقد أخطأ فيما فعل، فما في الأصول هو كلام الجاحظ لم ينقص منه شيء، وهو ذو بيان عال، و(أما) فيه مستغنى عن ذكرها، وتفهم من الفاء الدالة عليها، ونظير ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيما كتب به إلى أبي عبيدة: (وعمرو فأوصيك به خيراً) (فتوح الشام للواقدي، ٤٢) والتقدير: وأما عمرو. وقول صعصعة بن صوحان: (إذا لقيت المؤمن فخالصه، وإذا لقيت الكافر فخالفه، ودينك فلا تكلمنه) (مجمع الأمثال ٣/٣٢٩) والتقدير: وأما دينك، وانظر بحثي المفصل ذلك في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. وأضيف شيئاً جديداً فأقول: قد تجيء الفاء بعد المبتدأ لتدل على وجوب

وقسوع الخبر، ولا حاجة عندئذ إلى تقدير أما قبل الخير، كقوله تعالى (الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة) (النور / ٢). وكقوله تبارك اسمه (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) المائدة / ٣٨).

وقيل في الزاني والزانية إن التقدير فيهما: الذي زنى والتي زنت، وقيل في السارق والسارقة: الذي سرق والتي سرقت، فاجتلبت الفاء لأن الاسم الموصول يضمن معنى الشرط، كأن الأصل: من زنى فاجلدوه، ومن سرق فاقطعوا يده، فالجلد واجب والقطع واجب.

٧٤- قول في سوء بالضم وسوء بالفتح:

(٢٨٦/١) (فأما البين فخرج رجل المولود قبل رأسه وذلك علامة سوء)، وضمت السين من (سوء) والصواب فتحها. وتكرر مثل ذلك في مواضع من الكتاب كما في (٨٣/٣) في قول معن بن أوس:

إذا المجد الرفيع تعاورته بُناة السوء أوشك أن يضيعا

وكما في قول المقنع الكندي (١٣٨/٣):

وصاحب السوء كالداء العيَاء إذا ما ارفض في الجوف يجري ههنا وهذ

كمهر سوء إذا رفعت سيرته رام الجماح وإن خفضته حرد

إن (السوء) بالضم و(السوء) بالفتح في الأصل بمعنى واحد كالضعف والضعف ولكن المفتوح منه غلب أن يُضاف إليه ما يُراد ذمه من كل شيء. كقوله تعالى (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء) (مريم/٢٨). أما المضموم، فجار مجرى الشر وهو نقيض الخير كقوله تعالى (إنما يأمركم بالسوء

والفحشاء) (البقرة/١٦٩). وعدم التمييز بين (سوء) و(سوء) في هذا الكتاب له نظائر في كتب كثيرة، منها ما هي مراجع عالية المنزلة، وهي تدل على سهو المحقق أو عدم تثبته أو جهله. ففي رياض الصالحين ١٥٩ ورد الحديث النبوي (وإنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير)، وضمت السنين من (السوء) والصواب فتحها، ومحقق الكتاب هو الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي. وفي كتاب العين (٤٣/٨ بلد):

جَرَى طَلْقًا حَتَّى إِذَا قِيلَ سَايِحٌ تَدَارَكَهُ أَعْرَاقُ سُوءٍ فَبَلَدًا

والصواب (سوء) بالفتح. ومحققا الكتاب هما الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. وفي لسان العرب (مادة: خبط): (نعوذ بالله من خاتمة السوء) والصواب: السوء بالفتح. وهذا المعجم طبعة صادر ولم يذكر اسم محققه. وفي نهج البلاغة (٢١٦/١): (وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء) والصواب فتح السنين، ومحقق الكتاب وشارحه هو العلامة الشيخ محمد عبده. وفي الأغاني (١١٩/١٧): (إن عامراً أنزلكم منزل سوء) والصواب فتح السنين، ومحقق الكتاب هو علي البجاوي ومراجعته هو محمد أبو الفضل إبراهيم. وفي ديوان حسان بن ثابت ١٨٠ لسان:

أرى كثرة المعروف يورث أهله وسود عصر السوء غير المسود

والصواب فتح السنين، ومحقق الديوان هو عبد الرحمن البرقوقي. وفي الجليس الصالح الكافي ١٣١/١:

فتلك ولاية السوء قد طال عهدهم فحتام حتام العناء المطول

والصواب فتح السين، ومحقق الكتاب هو محمد مرسي الخولي. وفي ديوان القطامي ٥٣ (طبعة بريل) للقطامي:

فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن عليّ مناخ السوء ضربة لازب

والصواب فتح السين. ومحقق الديوان هو بعض المستشرقين، وفي ديوان حاتم الطائي وأخباره ٢٢٣ لحاتم:

تَبَعَ ابْنُ عَمِّ الصَّدَقِ حَيْثُ لَقِيْتَهُ فَإِنْ ابْنُ عَمِّ السُّوءِ إِنْ سَرَّ يُخْلِفُ

والصواب فتح السين، ومحقق الكتاب هو الدكتور عادل سليمان جمال. وعسى أن يلتفت صانعو المعجم الكبير إلى الغلط الواقع في (سوء) في كتاب العين ولسان العرب إذا أرادوا أن ينقلوا منهما.

٧٥- (٢٨٧/١) قال الجاحظ (وفي المثل: صاحبي متق، وأنا نتق)، وهذا مثلٌ مبتور، وحفظي: (أنا نتق وأنت متق فكيف نتفق؟).

٧٦- (٢٩٦/١ و ٢٩٧) (ربما نَمَرُوا على صاحب الحمام إذا خيف قَبْلَهُ القمار وظنوا أنه الشرف). وقال المحقق في (الشرف): (الاشفاء على خطر من خير أو شر) هكذا. وقال إنه في ل (به التشرق)، قلت: وهو الصواب الذي كان يجب الأخذ به، أي الشرف على بيوت الجيران من السطح. ومما يدل على ذلك أن الجاحظ قال في أصحاب الحمام (٣/١٩٠ و ١٩١): (والذين يتشرفون على حُرَم الناس والجيران). وهذا من الأمور المعروفة الآن في الأحياء القديمة من بغداد لكثرة أصحاب الحمام فيها.

٧٧- (٢٩٩/١) (فخبرنا عن يتخذ الحمام من بين جميع سكان الآفاق ونازلة البلدان من الحرميين والبصريين). وقال المحقق: في ل (الحرميين والمصريين)، قلت: وهو الصواب الذي كان يجب أن يؤخذ به، إن الحرميين هما مكة والمدينة، والمصريين هما الكوفة والبصرة. ثم وردت (الحرميين) و(المصريين) في ص ٣٠٣ على وجه الصحة في قول الجاحظ (وبعدُ فلم صارت نساء الحرميين لا يُرَيْنَ نهاراً ونساء المصريين لا يُرَيْنَ ليلاً).

٧٨- (٣١٤/١) روى الجاحظ لعلاج بن شحمة في بنته مية:

إِن تَكُ قَدْ بَانَتْ بِمِيَةِ غُرْبَةٍ فَقَدْ كَانَ مِمَّا لَا يُمَلِّ مَزَارُهَا

و(كان) خطأ نحوي أحوج إليه وزن البيت، والصواب (كانت) لأن اسم كان ضمير مستتر يعود على مؤنث حقيقي هو مية. وقوله (مما) الفصيح فيه (ممن). وسكت الجاحظ والمحقق عن ذلك. ويجوز أن يكون علاج قال: لعمرى كانت لا يُملّ مزارها، ثم حُرّف بلسان الجاحظ أو قلم الناسخ.

٧٩- (٣١٦/١) لبشر بن أبي خازم:

إِذَا غَدَوْا وَعَصِيَّ الطَّلَحِ أَرْجُلَهُمْ كَمَا تَنْصَبُ وَسَطَ الْبَيْعَةِ الصَّلْبُ

وفتح المحقق السين من (وسط) والصواب التسكين لأنه ظرف. ثم إن الفتحه تكسر وزن البيت.

٨٠- (٣١٨/١) لأعرابي:

لَقَدْ شَانَ صَغْرَى وَالْيَاهَا وَزَيْتَنَا لَصَغْرَى فَتَى مِنْ أَهْلِهَا لَا يَزِينُهَا
كَلَابَ لِعَابِ الْكَلْبِ إِنْ سَاقَ هَجْمَةً يَعْذِبُ فِيهَا نَفْسَهُ وَيُهَيِّئُهَا

وقال المحقق في (كلاب لعاب الكلب) كذا. وعندني أن (كلاب) تحريف (كذلك) والمراد بلعاب الكلب زوج صغرى، وقد يكون هذا لقبه أو أن قائل الشعر نبزه به.

٨١- (٣١٩/١) للحارث بن الوليد:

وبقيت في خَلْفٍ كأنَّ حديثهم ولغُ الكلاب تهارشت في منهلٍ

وأسكن المحقق اللام من (خَلْفٍ) والصواب (خَلْفٍ) بفتح ففتح، جمع خالف، ونظير هذا الجمع: تابع وتَبَعَ، وحارس وحرَسَ، وخابل وخَبَلٌ، والخابل هو الشيطان، وخادم وخَدَمَ، ورائح وروَّحَ، وراصد ورَصَدَ، وسالف وسلَفَ، وسامر وسَمَرَ، وشارد وشرَدَ، وطالب وطلَّبَ، وعاسَّ وعسسَ، وغائب وغَيَّبَ، وفارط وفرَطَ، وقاعد وقَعَدَ، ولاحق ولحقَ، وناشئ ونشَأَ، وهامل وهَمَلَ؛ والهامل البعير الضال.

٨٢- (٣٢٤/١) قال الجاحظ في تسمية الناس: (وإن كان حماراً تأول فيه الوقاحة والقوة والجلد). قلت: أما أن يُتأول في الحمار الجلد فصحيح، وأما أن يُتأول فيه القوة فقوته دون قوة البعير والفرس والبغل والثور. وأما أن يُتأول فيه الوقاحة فالحمار معروف بالوداعة. ولو جُعِل (الصبر) في مكان (الوقاحة) لكان مقبولاً، لأن الحمار معروف بالصبر ولذلك قيل له: أبو صابر.

٨٣- (٣٢٥/١) لبعضهم في عبد له اسمه كوكب:

كوكبٌ إن متَّ فهي مبتتي لا مت إلا هراً يا كوكبُ

ولم يفهم المحقق معنى البيت بدلالة أنه ضم تاء (متُّ) في صدر البيت، والصواب (متَّ) بفتح التاء. وقائل البيت يقول لعبده من شدة حبه له: إنَّ متَّ

متُّ أنا أيضاً. وتُركت تاء (مت) في عجز البيت بلا ضبط بالشكل والوجه فتحها.

٨٤- قول في تعدي عير:

(٣٢٩/١) قال الجاحظ (كما عير زيد الخيل حاتماً الطائي في خروجه من طيئ ومن حرب الفساد إلى بني بدر) فعدي (عير) بفي، والفصيح بالباء أي أن يقول: (عير زيد الخيل حاتماً الطائي بخروجه). فإن قلت: الفصيح أو الأفصح أن يتعدى (عير) بنفسه كما أفاد العلماء في كتب اللغة والأدب. قلت: كنت نشرتُ مقالة في مجلة البلقاء التي تصدرها الجامعة الأهلية في عمان عنونها (دفع الأذى عن عيرته بكذا) مج ٣ عدد ١/١٤١٣ هـ ١٩٩٢م ذكرت فيها ما استطعت جمعه من شواهد تعدي (عير) بالباء فكانت اثني عشر شاهداً شعرياً، وواحداً وعشرين شاهداً نثرياً. وذكرت ما استطعت جمعه من شواهد لتعدي (عير) بنفسه فكانت تسعة عشر شاهداً من الشعر ولم أجد له أي شاهد من النثر. وتحاشيت في عملي شواهد المولدين. وخلصت من ذلك إلى أن الأصل في (عير) أن يتعدى بالباء وهو الأفصح. أما تعدي (عير) بنفسه فمن لغة الشعر، والأصل فيه التعدي بالباء وحذفت الباء على ما يُسمى الحذف والإيصال لأجل وزن الشعر. وخالفت بهذا الاستقراء ابن قتيبة وهو أول من غض من قدر (عير) متعدياً بالباء مؤثراً عليه المتعدي بنفسه وذلك من جراء استقرائه الناقص لهذا الفعل وهو مذكور في كتابه أدب الكاتب ٤١١ وخالفت من تابعه من اللغويين وغيرهم الواردة أقوالهم في المعاجم وغيرها، كالجوهري في الصحاح (عير)، والأزهري - كما في اللسان (عير)-، والحريزي في درة الغواص - كما

في كشف الطرّة عن الغرّة ١٢٤-، والفيروزآبادي في القاموس (عير). على أن الأحوص عدّى (عير) بفي في قوله كما في الشعر والشعراء ٥٠٢:

وإني وإن عيّرت في طلب الصبا لأعلم أنني لست في الحب أوحدا

أراد السبأ ولكنه اضطر إلى جعلها (في) لوزن البيت. وإن كان في ذلك ضرورة شعرية فأى ضرورة تضطر الجاحظ إلى أن يقول: عيرفي؟.

تتمة: أضيف إلى شواهد (عير) المتعدي بالياء النثرية وهي واحد وعشرون شاهداً قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو كما في نهج البلاغة ١٥/٣ (وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالقهر أو الهراوة فيُعير بها وعقبه من بعده). وعسى أن يقف صانعو المعجم الكبير على هذا الذي أوردته مختصراً .

٨٥- قول في (محلّم):

(٣٢٩/١) وقال عوف بن محلّم، وفتح المحقق اللام المشدّدة من (محلّم) والصواب (محلّم) بالكسر، سواء أكان هو عوف بن محلّم الخزاعي أم محلّم بن عوف الشيباني أم من نسبت إليه عين محلّم بالبحرين أم غيره. قال ياقوت الحموي في (عين محلّم) في معجم البلدان: (بضم أوله وفتح ثانيه وكسر اللام المشدّدة ثم ميم. يجوز أن يكون من الحلم وهو مفعّل يعلم الحلم غيره... ويجوز أن يكون من حلّمت البعير إذا نزعته عنه الحلم. والمحلّم الذي يفعل ذلك. وهو اسم رجل نسبت إليه العين في قول الأزهري. وقال ابن الكلبي: (محلّم بن عبدالله زوج هجر بنت المكنف من الجرامقة). قلت: الخطأ مشاع في ضبط لام محلّم. ففي التكملة والذيل والصلة (٤٦٢/١): (وعسلج قرية بالبحرين ذات نخل

وزروع تسقيها شعبة من عين محلم هكذا، بفتح اللام المشددة من (محلم) والصواب الكسر، ومحقق الكتاب هو عبد الحليم الطحاوي. وفي تهذيب اللغة (١٦٥/٥ صاح): (في الحديث أن محلم بن جثامة قتل رجلاً). وفتحت اللام المشددة من (محلم)، والصواب الكسر. ومحقق الكتاب هو عبدالله درويش ومراجعته هو محمد علي النجار. والغلط نفسه وقع في المحاسن والمساوي ١٧٥ ومحققه هو محمد أبو الفضل إبراهيم. إن الغلط في تهذيب اللغة وفي التكملة والذيل والصلة في ضبط (محلم) قد ينتقل إلى (المعجم الكبير) فليكن صانعه على حذر منه.

٨٦- (٣٣٢/١) قال الجاحظ (ولكن لما طال إلقاؤهم النجو والزيل في أفنيتهم سُميت تلك الأشياء التي رموا بها باسم المكان الذي رُميت به)، ولكنه قال بعد ثلاثة أسطر: (ولكنهم لكثرة ما كانوا يلقون نجوهم في أفنيتهم سموها باسمها)، وهو تكرير لا حاجة إليه.

٨٧- (٣٣٥/١) قال الجاحظ (وكلمات النبي صلى الله عليه وسلم لم يتقدمه فيهن أحد، من ذلك قوله: إذا لا ينتطح فيها عزان). وقوله: (وكلمات النبي) في غير محلّه، لأنّ الكلمات غير معهودة، والوجه أن يقول (وللنبي صلى الله عليه وسلم كلمات لم يتقدمه فيهن أحد). فإن قلت: يجوز أن يكون الأصل في العبارة (وكلمات للنبي) ثم وقع عليه التحريف. قلت: هذا يصلح من قوله بعض الإصلاح.

٨٨- (٣٣٧/١) قال الجاحظ: (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: دقت الباب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من هذا؟ فقلت: أنا. فقال: ما أعرف أحداً يسمّى أنا. كأنه كره قولِي: أنا). قلت: لم يكن داق الباب علي بن

أبي طالب، بل هو جابر بن عبدالله. جاء في صحيح البخاري في الحديث الذي رقمه ٦٠٣٠: (سمعتُ جابر بن عبدالله يقول: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبي، فدققت الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أنا. فقال: أنا، أنا، كأنه كرهها). وكتب الحديث كلها تذكر اسم جابر في هذا الحديث. فالجاحظ مخطئ في اسم داق الباب ومخطئ في نقل نص كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا عجب أن يقول ثعلب فيه من أجل ذلك وغيره: (اعذبوا عن ذكر الجاحظ فإنه غير ثقة ولا مأمون) (تهذيب اللغة ٣٠/١). ومن ذلك أنه يروي بيتاً وتكون روايته في البيان والتبيين مختلفة. ويروي بيتاً ثم يرويه في الجزء نفسه أو في جزء آخر برواية أخرى. وروى ثلاثة أبيات ورواها في البيان والتبيين على روي آخر. ونبه المحقق على أغلب ذلك. فعلى أي رواية من روايته يعتمد طلاب الشواهد اللغوية؟.

٨٩- (٣٤٦/١) قال الجاحظ (وخبّرني النُشرواني قال: قلت للحسن القاضي: أوصى جدّي بثلث ماله لأولاده، وأنا من أولاده. قال: ليس لك شيء. قلت: ولم؟ قال: أو ما سمعت قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأبعاد

والنص يحتاج إلى عبارة توضيحية تقول: (وكان جدّه هذا لأمه). أو أن العبارة (أوصى جدّي) الأصل فيها (أوصى جدّي لأمي) فسقطت لأمي في النسخ. واستنادي فيما قلته استشهاد القاضي بالبيت المذكور.

٩٠- (٣٤٨/١) قال الجاحظ (والترك للشيء لا يكون إلا بالجارحة التي بها الشيء وفي مقداره من الزمان وتكون بدلاً منه وعقباً) هكذا، وهو قول عليه

ضباب الغموض، وأراه مما يسميه الجاحظ علم الكلام. وجاء في تتمته (فواحدة أن يسمّى السجود كقرأ. وإذا كان كقرأ كان جحوداً. وإذا كان جحوداً كان شركاً. والسجود ليس بجحد، والجحود ليس بإشراك، إلا أن تصرفه إلى الوجه الذي يصير [به] شركاً) هكذا، وهو أيضاً قول عليه ضباب الغموض. ولكي يظهر لنا المحقق أنه فهم هذا كله أضاف من عنده إلى القسم الأخير منه [به] وقال (زيادة يحتاج إليها القول). وقول الجاحظ (فواحدة) هو عدُّ مبتور لأنه لم يلحق به (وثانية) وكان يحسن منه اجتنابها.

٩١- (٣٥٩/١) قال الجاحظ (والمبتلى والملقى والمحروم والمظلوم مثل باهلة وغني مما لقيت من صوائب سهام الشعراء وحتى كأنهم آلة لمدارج الأقدام). والواو في قوله (وحتى) زائدة ولم أر نظيراً لها في أقوال الفصحاء ولا غيرهم، وهي ليست معطوفة على (حتى) قبلها. وقد كرر ذلك في قوله (٢٠١/٣) في حمام الزاجل: (وبيعت البيضة بخمسة دنانير فيقوم الزوج منهما في الغلّة مقام ضيعة وحتى ينهض بمؤنة العيال). وكرره في قوله (٢٨٠/٥) و(٢٨١): (وإذا كان للنابعة أن يبتدئ الأسماء على الاشتقاق من أصل اللغة كقوله: والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد، وحتى اجتمعت العرب على تصويبه).

٩٢- (٣٥٩/١) (آلة ينكب فيها كلّ ساعٍ ويعثر بها كل ماش)، ولا معنى ل (ينكب) وأراها تحريف (ينقب)، أي ينقب فيها خفّ كل ساعٍ. و(نقب) أي تخرق. وقوله (كلّ ساعٍ) على حذف المضاف، أي خفّ كلّ ساعٍ.

٩٣- (٣٦٠/١) قال الجاحظ (وجلّ معظم البلاء لم يقع إلا بغني وباهلة). ولا أرى وجهاً لإضافة (جلّ) إلى (معظم). فإما أن يقول (وجلّ البلاء) وإما أن يقول (ومعظم البلاء) لأن جلّ ومعظم بمعنى واحد.

٩٤- (٣٦٣/١) قال الجاحظ (وربّ قوم قد رضوا بخمولهم مع السلامة على العامة حتى يصب الله تعالى على قمم رؤوسهم حجارة القنف). وهو في قوله (حتى يصب الله على قمم رؤوسهم حجارة القنف) قد جعل نفسه كالخضر عليه السلام عالماً ببعض أسرار القضاء والقدر. فهو لم يعزّ إلى أولئك الناس كفراً ولا تعدياً على أحد، وبدلاً من أن يذم من هجاهم عزا الهجاء إلى تدبير من الله تعالى، وهو عزوّ حقيق بأن يُصرف عنه القلم لما فيه من تسرع بل تترعّ.

٩٥- (٣٦٦/١) (ولقد ضعضت قريش لما جاءت به من الخصال الشريفة التامة من أركان كنانة سنام الأرض وجبلها وعينها التي تبصر بها وأنفها التي بها تعطس). وفتح المحقق ميم (سنام) ونون (عينها) وفاء (أنفها) وحق ذلك كله الكسر لموضع الجرّ من كنانة لأنها مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة بدلاً من الكسرة لأنه ممنوع من الصرف، وقد ترك هو آخر كنانة غير مضبوط بالشكل. وسنام وجبل وعين وأنف تابعة له في الإعراب، والقول (وأنفها التي بها تعطس) أرى أن (التي بها) تحريف (الذي به) لأن القول في الأنف. وقد يكون ذلك سهواً من الجاحظ.

٩٦- (٣٦٨/١) لمزرد بن ضرار:

نشأت غلاماً أتقى الذمّ بالقرى إذا ضاف ضيف من زرارة راغب

و(من) في عجز البيت تحريف (في) أراد: إذا ضاف ضيف راغب في فزارة.

٩٧- (٣٧٥/١) قال الجاحظ (وبعد، فما وجدنا كلباً وثب على صبي من تلقاء نفسه، وإنه ليتردد عليه في المهد وهو لحم على وضم فلا يشمه ولا يدنو منه). قلتُ إذا كان الكلب مدلاً في دار، وولد لأهل الدار طفل، وعُني به أهله ودلّوه، فقد تصيب الكلب الغيرة فيقتل الطفل، وقد حدث في بضع سنوات خلت في إنكلترا ثلاثُ حوادث في هذا المعنى أو أربع. وقد يعضُّ الصبيان من الجيران أو المارين في الطريق بغاية الشدة دون أن يتحرّش به أحد. وعندهم أن الكلب القاتل أو الذي يحدث جرحاً بليغاً يجب أن يُقتل، ويقوم بقتله البيطار.

٩٨- (٣٨٠/١) روى الجاحظ لابن الطثرية:

ولقد طرقتُ كلاب أهلك بالضحى حتى تركت عقورهن رُقوداً
يضرين بالأذنان من فرح بنا متوسدات أذرعاً وخذوداً

ورواية الجاحظ (طرقتُ... بالضحى) لا تصح، لأن الطرق هو الإتيان بالليل. وأظن أن الشاعر قال (بالدجى) في مكان (بالضحى). فإن قلت: إذا كان الطرُقُ خاصاً بالليل فميم يقول الشاعر (بالدجى)؟ قلتُ: ذلك مستعمل عند العرب ومنه قول المرقش الأصغر كما في المفضليات ٢٤٢:

بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً
من الليل بل فوها ألدّ وأنصح

ونحو ذلك (أسرى) في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً) (الإسراء/١). فوردت (أسرى) الخاصة بالليل وأعقبها (وليلاً). واستعمل الطرق كثير دون أن يذكر الليل أو الدجى، قال يرثي خندقاً الأسدي:

فلا تبعد فكل فتى سيأتي
عليه الليل يطرق أو يُغادي

أي يأتيه الموت ليلاً أو نهاراً.

٩٩- (٣٨٣/١) لبعضهم:

من دون سيبك لون ليلٍ مظلمٍ وحفيفٍ نافجةٍ وكلبٍ مؤسّدٍ

ثم جاء في الكلب بعد أسطر ص ٣٨٤ (فإن كان الكلب إنما أسره أهله فإنما اللوم على من أسره). وعندني أن (أسره) في الموضعين تحريف (أسده). يقال آسَدَ الكلبَ وأوسده وأسّده أي أغراه. ويشهد لما قلت ما في البيت المذكور أنفأ وهو: وكلبٌ مؤسّدُ:

١٠٠- (٣٨٦/١) لأعشى بني تغلب:

بكيّت على زاد خبيثٍ قريته ألا كل عبيّ على الزاد نابحُ

وأفاد المحقق أن الشعر في العمدة ١٥١/٢ للراعي وأن الرواية فيه: ألا كلُّ عبيّ على الزاد نائح . قلت: الصواب (نائح) كما في العمدة، وهي توافق (بكيّت) في أول البيت، فما في الحيوان تصحيف واضح ارتضاه المحقق. وكسر المحقق راء (قريته) بالبناء على ما لم يُسمّ فاعله، والصواب (قَريته) بفتح ففتح، والمعنى: أنت تقدّم الزاد لضيفك ونفسك شحيحة به نائحة عليه.